برلمان الحريم
مجموعة قصصية

تأليف
فاطمة مصطفى

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠
http://gate.dar.elmarf.com

تصميم الغلاف:
هاجر محمود

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج. م. ع
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg
http://gate.dar-elmarf.com

إهـــــداء

إلى كل القيــم الجميلــة التى انــزوت أمام وطأة الهجــوم الهائل من المتغيرات الغربية الواردة إلينا من مجتمعات غربية أؤكد عليها أن تثبت ولا تتوارى.. فنحن فى أمس الحاجة إليها لنعيد التوازن المفقود إلى عالمنا المتغير بسرعة الصاروخ

المؤلفة

فاطمة مصطفى

المقدمـة

يتسـلل الكاتب أو الأديـب إلى تفاصيل شـخصيات رواياته فيضع فيهـا إيماناته بكل المبادئ والقيم والأخلاقيـات التى يعتنقها ويصيغها على لسـان شـخوصه فى كلماتهم.. تنهيداتهـم.. معاناتهم.. أفراحهم وسعادتهم.

فالكاتب أو الأديب يلعب دورًا كبيرًا فى كشف مكامن الخطر وإلقاء الضوء على زوايا وجوانب داخل نسيج المجتمع من سلبيات وإيجابيات يقدمها إلى القارئ فى خيوط متماسكة يوضح بها رؤيته وانفعاله بوجهات نظـر الناس وتواصله معهم ويضعهم فى خيارات تتناسـب مع طبائعهم المختلفة.

ولهذا ما يتراءى أمام عين الأديب أو الكاتب من التفاصيل الدقيقة بل والهامشية فى حياة البشـر بعينيه الثاقبتين والتى تمر مرور الكرام أمام أعين العامة من البشـر وكأن شـيئًا لم يحدث، ويسقط الفعل أو الحدث فى زاوية مظلمة من النفس البشـرية.. وتعم السـكينة والهدوء. وبالرغم من كل الأحداث المتلاحقة التى ينفعل بها الجميع فى وقتها فإن البشر يعودون سريعا إلى سجيتهم الأولى، يعيشون تفاصيلهم الحياتية فى هدوء وسكينة.

أما الكاتب أو الأديب فيتولد عن رؤيته الثاقبة للأحداث نتاج هو فى مجموعـة حكايات أو مقالات يقدمهـا إلى القارئ بوعى وعمق، هى فى

حقيقتها تمثل الواقع الذى يعيشـونه والمستمد من تجاربهم ومعاناتهم.. ومشاكلهم.. وتجاربهم ولحظات ضعفهم واستسلامهم.. أو حتى لحظات الرفض والتمرد والعصيان.

ولا يعنـى هذا.. أن الأديـب أو الكاتب تقف إرادته عند حد الرصد والمراقبة فقط.. بل تتداخل رؤيته وقيمه الشـخصية وأخلاقياته الخاصة فـى تفاعـل حى.. وتجانس فعـال مع تلك التفاصيـل التى تتراكم فى ذاكرته وعقله.. يختزنها.. ثم يترجم بقلمه صورًا حية نابضة.. يسـعى معهـا جاهداً لتغيير مفاهيم وقواعد وقيم مسـتفزة سـلبية، ليؤكد بذلك أخلاقياتنـا المتوارثة وقيمنا الجميلـة من جيل إلى جيل.. يلح بها علينا ليذكرنا بها.

ولقـد حاولت فى مجموعتى القصصية «برلـمان الحريم» تقديم بعض الصور واللقطات التى تركت انطباعا داخل نفسى. طرحتها فى حكايات بعضها سـاخرة.. ولدى إيمان بـأن يعيد القارئ النظر فى نظرته للأمور وأسـلوب حياته.. إذا ما تراءى أمامه شريط من التفاصيل الحياتية التى يرتكبها بقصد أو غير قصد منه فربما أنجح فى تغيير بعض من سلبيات ترتكب بشكل يومى.

ملمس الحرير

انقبضت روحها.. وأحست بأن الحياة تتسرب من جسدها فى طريقها إلى الفنـاء.. شـعرت بأن الصقيع تسـلل إلى كيانها كلـه.. داهمتها تلك الأحاسيس فى لحظة فجائية.

وجدت نشـوى نفسها وتلك المشـاعر المتباينة تحيط بها.. تضغط على أنفاسها.. تضيق عليها الخناق.. فلا تجد متنفسًا للفرار أو الهروب..

كانت لحظة مواجهة عنيفة مع النفس والضمير.. ذلك الرقيب الساهر الذى لا يمل من إعطائها إشاراته فى غضبه أو رضاه.

ساد سكون قاتل. إلا من دقات قلبها المتلاحقة التى تعالت أصواتها.. فأصبحت ضجيجًا.. مفزعًا.

اهتز جسـدها بشـدة.. وارتعشـت أوصالهـا.. حاولـت تجنب تلك المواجهـة وجها لوجه مع ذلك الضمير.. ذلـك القابع المعترض.. المترصد لتلك المواجهة.

سـقطت دمعتان من عينيها.. تطويـان فى لهيبهما على خديها حرقة نفسها ولوعتها.. ويعبران عن ضعفها.

آه.. رددت نشـوى.. وتنهـدت بـألم من أعماق نفسـها.. فاختلطت أحاسيسـها بانفعالات شتى..تضاربت وتصارعت بداخل روحها.. ضمت بين ثناياها.. كل ما تشعر به من حنق وضيق.. وأيضًا سعادة لا حدود لها.

أطلت تلك المشاعر.. واحتوتها وهى تستعيد فى عقلها.. دفء اللحظات التى جمعتها بعشقها وحبيب عمرها «حازم».

قالـت.. تردد لنفسـها.. كم أشـتاق إليها.. وكم؟؟.. أتنفسـها.. لقد عرفـت معها وأنـا بين أحضانها.. ما هى الحيـاة.. أيامى! ! ما مضى منها وما هو.. آت! !

اختفت كل الأشـياء من حولها.. فلم يبق فى الذاكرة والوعى سـوى لمسـات أيديها.. هى وحازم.. ولقاء شـفاههما فى لغة يعجز الشـعراء والأدباء عـن وصفها بتلك الدقة والحميمية والدفء.. فما تحس به عند رؤيتهـا لحبيبها.. أجمل من أى معنى تعبر عنه كلمة فى قاموس الغزل والعشق والحب على مر التاريخ.

ظلت نشوى داخل تخيلاتها لتلك اللحظات التى يذوبان فى بحرها يغوصان فيه ويذوقان منه طعم العسـل وحلاوة الشـهد.. وفجأة.. تسلل العقل إليها فى ومضات كالبريق.. أيقظها من غفلتها أعادها إلى وعيها.. وكأنما أراد أن يذكرها بوجوده.

انهمرت الدموع من عينيها.. تدفقت كسيل جارف رافضة أن تتوقف عن مسيرتها فى التعبير عن حرقة بكاء هاتين العينين.

تكومت نشوى وظلت ساكنة فى مكانها.. بلا حراك.. لاتدرى كم مر عليها من الوقت.. فكرها شارد.. حائر.. وحوار طويل يدور بنفسها.

قالـت. تردد: ما أشـقانى أيهـا العقل.. ففى لحظـات تواجدك.. أتضاءل.. أنكمش أمام كيانى.. أبحث بداخلى.. فلا أجد سـوى الخواء والفـراغ.. أحاول اسـتدعاء قواى.. فى لحظة تمـردى عليك.. لا أعثر عليها.. لا أجد إرادتى مع كل محاولة لى بالهروب منك أو الفرار.. وأجد نفسـى فى لقائى بحازم.. أنعم بدفء اللحظات.. أستمتع بدغدغتها.. وهدهدتها لى كطفل ألقى بجسده بين ذراعى أمه ينعم بحنانها وعطفها.

إن حبــى لحازم.. هو فرصتى الأخيرة فى الحصول على الســعادة.. ذلك المعنى الذى تاه عنى طويلا فى سراديب وأوهام.. تخبطت بدروبها وعدت منها بخفى حنين.. خالية اليدين.. كسيرة القلب والمشاعر.

استرســلت نشــوى فى حديثهــا لنفســها وحزن عميق يســتوعب كيانهــا.. ويملأ قلبها. قالت تردد.. أنا علــى يقين بفداحة خطيئتى.. ولكنى اســترددت معها عمرى الضائع.. وأيامى التى مرت بلا فرحة.. بلا معنى.. بلا معالم.

أطل من أعماقها إحســاس هائل بالخطيئــة.. اندفع من روحها إلى ســلوكها الخارجى.. فأخذت تدور حول نفســها داخل حجرتها.. فى حركات عصبية وانفعال بالغ.

حاولت التماســك.. ولكن باءت محاولاتها بالفشــل.. ألقت بنفسها علــى أقرب أريكة بحجرتها.. وكأنها تلقى بنفســها مــن مكان مرتفع للتخلص من أعبائها ومشاكلها.

تكومت نشوى بحضن الأريكة.. كقطة صغيرة.. تتمسح بجدار تبحث إلى جــواره بالحماية من الظلمة التى تحيط بها.. وســرحت بفكرها إلى ســنوات عمرها الماضية.. وكيف تعاملت معهــا.. وكم قاومت عواصفها وجموحها ومشاعرها وكيف تجاهلت عنفوانها ورغباتها.. أدركت قسوة سلوكها مع قلبها ومشــاعرها وإرغامها لهما بالاستسلام لمشيئتها هى.. ولعقلها فلا مجال لثورة أو تمرد على المنطق والعقل.

تمتمت لنفسها.. بصوت هادئ.. قائلة.. لقد وجدت نفسى أخيرًا.. لقد نزعت قيودى، استســلمت لقلبــى.. تمردت على جمودى انتصرت

لمشاعرى وأحاسيسى.. عثرت على سعادتى.. منذ لقائى بحازم.. استعدت أيامى الضائعة.. ولن أتركها تفر من بين يدى.

تدفقت بشائر الفرحة على وجهها.. فظهرت فى ابتسامتها المتألقة على شفتيها النضرتين.. وتورد وجهها بحمرة الحياة والحيوية.. فتحولت إلى لوحة حية للجمال فى أروع صورة.. جمال حى نابض بالحياة.

تحسست نشوى مشاعرها.. فشعرت «بملمس الحرير» فى رقته وجماله ونعومته.

تعايشت تلك الأحاسيس المختلفة ما بين الرفض والإيجاب، تتجول داخل نفس نشوى وروحها.. تقهرها حينًا.. وتنقلب هى عليها حينًا آخر.

فأصبحت توأمًا لروحها.. يتحاوران.. يغضبان ثم يتصالحان.. صراع.. ووفاق.. تباعد وتقارب.. ولكن ظل شىء وحيد باقيا من كل الحالات.. دقات قلبها التى تنبض.. وتغنى وتدندن باسمه.. «حازم» الحب الذى جاء بعد ظمأ وجفاء وعزلة.. يربت ويحنو ويمنح عطاء متدفقا.. يحتويها.. يحتويها.. ويستوعبها.

أحست نشوى وهى جالسة على أريكتها بروحها ترفرف.. وبقلبها تتزايد ضرباته وبسعادة بالغة لا تعلم مصدرها.. أحست بعدها بهدوء نفسى يتسلل إلى روحها المتعبة.

دق جرس الباب.. أسرعت نحوه.. وجدته أمامها.. حازم.. أحست بأنفاسه تحمل لفحات شوقه إليها.. اندفعت إليه التقت العيون..

تلامســت الأيدى.. أحست بدنياها تطوقها بذراعين حانيتين.. تداعت كل حصون الرفض بداخلها.. هوت فى مكان ســحيق.. ألقت بنفســها بــين أحضانه.. تســتمد من أنفاســه الحياة.. فتحول المكان بنســمات هوائهما وعشــقهما إلى حديقــة يانعة.. يتناثر بها عبــق الورد.. وزهور الأمل والتفاؤل والســعادة، قال لها.. لا أحيا وأنت بعيدة عنى.. قالت له.. بدونك لا عمر لى.

نظر فى عينيها الجميلتين.. وقال لها فى صوت مفعم بحب وشغف شديدين.

تتزوجينى ! ! !

❑❑❑

وكانت الأولى

كانت السماء تمتد على طول النظر.. بزرقتها الصافية فتبعث فى النفس إحساسًـــا هائلاً بالطهر والنقاء والصدق.. وترســم النجوم المتناثرة كحبات اللؤلؤ لوحة فنية قلما تجود يد فنان برسمها بتلك الدقة والجمال والروعة.

أحس أحمد بأنه يستنشق هواء نقيا.. وأن قلبه يسع العالم كله.. وأن روحه تخلصت من همومها.. وكأنه ألقى على اليابسة بها قبل أن يصعد على تلك السفينة ويبدأ رحلته إلى أوروبا للنسيان وتغيير الأجواء الكئيبة التى عاشها لسنتين كاملتين والتى انتهت بزيجة فاشلة.. اعتقد معها أن حياته انتهت.. وأن السعادة ولَّت منه إلى غير رجعة.. وأن أيامه المقبلة سيعيشها لأن ما زال له بقية فى العمر فى تلك الدنيا ! !

اســتعاد أحمد فى لحظة ذكريات الأيام الماضية.. والتى اتخذ قرارًا بالقيام بتلك الرحلة للتخلص منها.. ولكنها مازالت تطارده، تلح عليه.. تؤرقه.. تسرق لحظات الهناء من عمره وأيامه ! !

أحس أحمــد بألم موجع يضغط على أنفاســه وأعصابــه وامتغضت ملامحه فى غضب مكبوت ظل حبيسا بين ضلوعه طويلا.. قال يحدث نفسه :

ألا أستطيع الفرار من أيامى.. ألا توجد وسيلة للهروب.

نظر بعينين متعبتين إلى السماء الصافية والبحر بزرقته المنعشة فتسلل إليه شعور براحة وقتية.. فمنحته قدرًا بسيطا من الإحساس بالأمان.

كان الفجر يتسلل بنوره المتألق وشعاعه المنبعث بجناحيه على الدنيا يضفى على صفحة البحر تألقًا وبريقًا يزيده روعة وجمالا.

بدأ رواد السفينة يتوافدون الواحد تلو الآخر صعودًا إلى سطح السفينة ليستمتعوا بمشاهدة ذلك المنظر الخلاب.. حتى امتلأ سطح السفينة بأعداد كبيرة منهم.. فقد حرص كل المسافرين على رؤية ذلك المنظر الذى لا يجب أن يفوتهم رؤيته بأى شكل من الأشكال.

حاول أحمد أن يشغل نفسه بالتمتع بهذا المنظر الخلاب.. وكذلك متابعة رواد السفينة.. تصرفاتهم وانطلاقهم وسلوكهم الغريب منها والعجيب.. وظل فترة من الزمن وهو يتنقل بناظريه من شخص إلى آخر.. ومن جانب إلى زاوية ثانية.

وفجأة.. انشقتِ ظهر السفينة عن حورية حسناء.. كانت عيناها نجلاوين ملونة بلون العسل الصافى.. وجمالها مبهر يوحى لكل إنسان بأن يصبح شاعرًا كاتبًا يتعبد فى محراب روعتها.. وعمقها.. ولون البشرة ناصع البياض مشرب بحمرة طبيعية وفورة صحية.. وجهها فى استدارة القمر.. تحوطه هالة من الشعر الأصفر المسترسل.

فكانت فى مجملها.. وكأنها ملاك نزل فى زيارة مؤقتة إلى الأرض.. ليبعث الجمال والفتنة والنشوة فى النفوس ويبعث الأمل والأمنيات فى القلوب.

كان أحمد يدقق النظر بعمق فى ذلك الوجه الرائع الجمال.. وذلك الجمال النادر.

جلست الفتاة فى الطرف الآخر للسفينة على بعد عدة أمتار منه ولكنه كان يحاول تدقيق النظر فى تفاصيل هذا الجمال.. وعندما يئس

من رؤيتها بشكل واضح.. قرر الاقتراب منها.. لينعم بهذا الجمال النادر والذى شعر أمامه.. بأنه مكبل بالأغلال والقيود.. تسمرت قدماه فى مكانهما.. وكأنه يؤدى صلاة خاصة فى محراب.. وانطلقت روحه فى حرية إلى أفق غير محدد.

ظل مشدودًا إلى هذا الكائن الملائكى.. وكأنه منوم تنويمًا مغناطيسيًا.. فقد إرادته فجأة.. فأصبح فى يد ذلك الكيان الذى امتلك عليه كل حواسه واهتمامه.

اقترب أحمد بخطواته ببطء فى اتجاه الفتاة الجميلة.. حيث تجلس فى آخر السفينة.. وعندما أصبح على قيد أنملة منها.. كانت تنتظره مفاجأة كبرى.كان لها وقع سيئ إلى أقصى حد على نفسه.

كانت الفتاة كسيحة قعيدة كرسى متحرك.. اقترب منها بخطوات، قلبه وعيناه مركزتان على ذلك الوجه.. كان خاليًا. من الروح.. أشبه بوردة جميلة أصابها الذبول.. وكأنها تم قطفها من على غصنها ليلقى بها على الأرض فأصابها العطب.

استمر أحمد يراقبها بدقة.. يتابع تعبيراتها وملامحها لم يدر كم من الوقت مر عليه وهو فى هذا الوضع المترقب.. ولكن تيقن أن ذلك الكيان فاقد لمعنى الحياة!! بل إن الحياة تسللت من تلك الروح.. وتركت الجسد هائمًا وحيدًا.. فأصبحت العزلة هى كل محيطه ودنياه!!

تساءل أحمد بينه وبين نفسه.. من ذلك الرجل العجوز الذى يرافقها؟.. ومن هى تلك الفتاة المسكينة الذى أحس ناحيتها باهتمام بالغ.. وكأنه وجد فى هذه الحياة لخدمتها ورعايتها حتى آخر يوم فى عمره!!

تزاحمت الأسئلة حول عقله وفكره وكيانه كله.. تطالبه بضرورة البحث عن إجابة شافية لهذه التساؤلات.

لم يؤجل أحمد قراره.. فقد صمم على التعرف إلى هذه الأسرة الصغيرة المكونة من الفتاة والرجل العجوز!

قال فى صوت حاول أن يكون طبيعيًا بعد أن اقترب خطوات قليلة منها حاول ألا يحمل نبرات التساؤل والفضول - «صباح الخير» موجهًا حديثه إلى الرجل العجوز المرافق للجمال المنكسر.

رد العجوز بترحاب شديد وكأنه متلهف على التعرف إلى أى شخص لإحساسه بالعزلة والوحشة وسط هذا الخضم.

صباح الخير يا بنى.

استطرد أحمد الحديث قائلا.. الجو اليوم رائع.. وصاف يعطى إحساسًا هائلاً بالأمل والاطمئنان.

أجاب العجوز.. بالفعل.. الجو صاف.. والبحر أمواجه هادئة.. ستكون رحلتنا على هذه السفينة رائعة إن شاء اللّه.

قالها الرجل بإيمان عميق.. مما يعطى انطباعًا قويًا عن تلك الشخصية.. وأضاف أحمد قائلا.. إن الإنسان يحتاج إلى التغيير من وقت لآخر.. إن رؤية وجوه جديدة وأناس مختلفين ومشاهدة بلدان ومناظر جديدة.. تقتلع ملامح الكآبة من داخل النفوس.. وتعيد للنفوس نشاطاتها وحيويتها.. وربما يخلقها من جديد ! !

آمل ذلك..، يا بنى.. قالها العجوز فى صبر وتؤدة وهو يتنهد تنهيدة أطلت من أعماقة تعبر بصدق عن معاناة شديدة.. ساد الصمت بينهما لحظات قليلة.. ظل أحمد فيها شاخصًا النظر إلى وجه العجوز محاولاً

قراءة ماذا وراء تلك الابتسامة الباهتة على وجه الرجل العجوز؟ وما هى حكاية الفتاة الجميلة الجالسة بجواره؟.

واستطرد لمواصلة حديثه مع العجوز.. هل هى ابنتك؟.. مشيرًا إلى الفتاة الجميلة الذى تعلق بها فؤاده دون شرط أو قيد.

نعم يا ولدى.. إنها بثينة.. ابنتى الوحيدة الذى رزقنى الله بها وبعد طول انتظار وعوضنى بها عن غياب أمها التى توفيت فور ولادتها.

وأكمل قائلا: إنها ابنتى وأمى.. وصديقتى وحبة القلب وقرة العين.. وأنيستى فى تلك الدنيا.. بدونها لا وجود لى ولا حياة.. وسقطت دمعتان على خديه لم يستطع التحكم فيهما أو منعهما من النزول.. فأدار وجهه مسرعًا.. ليخفى ضعفه المفاجئ أمام مستمعه.

امتدت يد أحمد نحو الرجل العجوز.. يربت بهما على كتفه فى حنان بالغ.. وعطف صادق.

ثم قال له.. فى حنان.. ماذا بك؟.

أشياء كثيرة يا بنى.. الأسرار يعلمها الله.. إنك ترى جزءًا بسيطًا من معاناتى. ابنتى الوحيدة.. وأمسك لسانه.. حتى لا يترامى إلى الفتاة كلمة تجرحها أو تضايقها.

مشيرًا إليها فى صمت دون أن تلحظ هى ذلك.. فقد كان صوته أشبه بالهمس.. ونبراته متهالكة متخاذلة.

قال أحمد فى عطف كبير.. إن لكل مشكلة حلاً.. طالما الأمل موجود.. ورحمة ربنا بالعباد كبيرة.

ونعم بالله!! نطق بها العجوز فى ثقة وإيمان كبيرين.

ألقى أحمد نظرة على الفتاة التى تجلس على بعد خطوات قليلة منه علــى كرســيها المتحرك.. والذى يغار البهاء مــن جمالها الفاتن ورقتها الواضحة وهدوئها الذى يشبه النسمة العليلة فى ليلة صيف حار ورطب.

قالها موجهًا حديثه إلى والدها.

لماذا لا تشاركنا الآنسة بثينة الحوار؟.. وما هى حكايتها؟.

يــا بنــى.. حكاية ابنتى.. طويلــة.. انتهت بما تراه الآن.. جسـد بــلا روح.. فقدت ارتباطها بالحيــاة.. تعيش حياة كالعدم بلا رغبة فى أن تحياهــا.. بلا أمل.. أو رغبة أو حماس لأى شــىء.. وتنهد الرجل العجــوز.. ونظــر بعمق فى عينى أحمد.. ووضع يديه المرتعشــتين على كتفيه.. وقال فى صوت أبوى حقيقى.. لماذا أشــعر يا بنى.. بثقة كبيرة فيك.. ولماذا أحكى لك.. وأفتح قلبى وكأننى أعرفك منذ زمن طويل!!

وأكمــل.. ربمــا لأن الصدفة هى التى جمعتنا.. وقــد لا يرى بعضنا بعضًا مرة أخرى بعد انتهاء هذه الرحلة؟.. أم أن الله أرسلك فى طريقنا لتشاركنا ذلك الحزن الكبير.

مهما تكن الأســباب.. قال أحمد بحب شــديد.. فإنى أشــعر بأنى أصبحت جزءا منكما.. وأعدك من الآن سأصبح رهنا لإشارتك وابنتك!!

قال العجوز ربما أراد الله يا بنى.. أن يساعدنى فى محنتى وشيخوختى ومصيبتى تلك فى ابنتى الوحيدة.

قال أحمد.. ولكنك لم تخبرنى حتى الآن.. ماذا أصابها؟.

كاد الرجل العجوز أن يبدأ فى ســرد حكايتها.. ولكن تململت بثينة فجــأة فى مقعدها.. وكان ذلك مؤشــر رغبتها فى الانتقال إلى كبينتها..

فهــى دائمًا ما تفضل الوحــدة وتقضى أغلب أوقاتهــا بعيدة عن الناس منعزلة عنهم.

اســتأذن والدهــا من أحمد للانصــراف.. ولكن على وعــد بلقاء فى المساء.. كى يتناولوا معًا طعام العشاء.

شــعر أحمد.. بدوامة من القلق والألم تبتلعه.. وبرغبة حقيقية نابعة من القلب أن يمد يده لمســاعدة تلك الفتاة.. وبإحســاس كبير بالمسئولية تجاهها.

تدفقت التساؤلات تلح عليه.. تدفعه دفعًا لمعرفة ماذا أصابها؟.

قــال يحدث نفســه.. أمثل هذا الجمال يعانى الشــقاء والألم؟.. من الذى تجرأ على إيذاء تلك الرقة؟..

ظــل ينتقل من مكان إلى آخر داخل الباخــرة كالتائه دون أن يدرى غايته أو هدفه.. ســوى انتظار ميعاد العشــاء لمقابلة والد فتاته.. وإجلاء الغموض الذى يحيط بها.. ومعرفة ماذا أصابها؟.

جلــس أحمد على إحدى الموائــد.. يتناول شــرابا لتضييع الوقت حتى يجىء ميعاده المرتقب.. وأثناء ذلك دار حوار طويل.. مع نفسه وجدال حاد.

ماذا حدث لى.. ســأل نفســه.. منذ أن وقعت عيناى على تلك الفتاة أحسست بدماء الحياة تتدفق فى عروقى وشراييني من جديد وبأن شيئًا مجهولا يدفعنى بشدة وبإصرار لطريقها.. وكأنها قدرى.

لقد اعتقدت بعد فشــلى فى زواجى وحبى أن هذا القلب ســيعترض ويتمرد.. ويرفض العودة نهائيًا أو الاســتجابة لهذا النوع من المشــاعر.. وأنه لن يرتبط بامرأة قط مهما كانت الدوافع أو الأسباب.

وأكمل حديثه لنفسه. قائلا.. مستحيل أن يحدث ذلك فى لحظة مباغتته.. إن كيانى كله يريدها.. ومستعد لفعل أى شىء من أجل سعادتها وهنائها وإعادة الأمل إلى دنياها من جديد.

ويستطرد قائلا فى حديثه الصامت مع نفسه.. هل القلب يدق أكثر من مرة.. أم هذا هو الحب الحقيقى؟ وفيما عداه بروفة.. أو تجربة.. لماذا أشعر بأنى مقبل على فرحة عمرى.

تعلقت عيناه فى قلق واضح على الساعة المعلقة على جدار الباخرة.. كانت الساعة تقترب من الثامنة.

كانت دقات قلبه تنبض مع عقاربها.. تنشد السعادة برؤية الفتاة التى استولت على كيانه كله.. وكأنه سيزف إلى عروسه التى يحبها ويشغف بها.

أخذ يتجول بعينيه فى المكان.. وقد بدأ الزحام يشتد وإقبال رواد المطعم يتزايد.. لمح الرجل العجوز مقبلا ناحيته وهو يمسك بأطراف الكرسى المتحرك يحرك ابنته أمامه وهى جالسة عليه.. ولكن وجهه كان أكثر إشراقًا عما رآه فى الصباح.

انتظر أحمد قليلا حتى يتخذ مجلسًا على أحد الموائد ثم اقترب منهما ألقى عليهما تحية المساء.

هلل العجوز فرحًا برؤيته لأحمد.. قائلا له.. اتفضل تناول العشاء معنا.. الصحبة مسلية.

وجلس أحمد على الكرسى المجاور لبثينة.. وظلت عيناه معلقة بوجهها الجميل على رغم أحزانها التى لا يعرف حتى الآن مصدرها..

وابتسامة فرحة تطل مزغردة على وجهه وعينيه بوجودها بجواره حتى ولو لم تشاركه الحديث أو حتى الإحساس.

تناول الثلاثة العشاء فيما أشبه بالصمت إلا من بضع كلمات قليلة كان الرجلان يتبادلانها بين حين وآخر.. ومع الوقت بدأ الزحام يقل بالمكان..وانصرف رواد المطعم بالتدريج.

وقام الثلاثة بعد أن قرروا التوجه إلى إحدى صالات الباخرة حيث تعزف فرقة غناء شرقية.. وقد أشار العجوز لأحمد بأن ابنته بثينة تحب هذا النوع من الأغانى الشرقية.

وقرر أحمد بينه وبين نفسه أن يستغل تلك الفرصة المتاحة له.. لينفرد بوالد فتاته.. ليتعرف إلى الأسباب التى أدت بها تلك الحالة.

وأثناء انشغال بثينة بالاستماع إلى الأغانى التى تعشقها.. تسلل الرجلان من المكان خارجين إلى سطحٍ الباخرة.. وعلى الفور بادر أحمد الرجل العجوز قائلا له.. إن بى فضولاً كبيرا لمعرفة ما الذى أدى بالآنسة بثينة إلى ما هى عليه؟.. وما هو مرضها بالضبط؟.. فهى لا تتحرك.. ولا تتكلم.. منفصلة عن العالم الخارجى.. لا تحيا مع البشر.. وأضاف فى اهتمام بالغ قائلاً لوالدها.. إنى أحب ابنتك حبًا كبيرًا وأشعر بقربها إلى نفسى وكأنها جزء منى.

فسر لى ما بها.. إنى أريد بشدة مساعدتها.. وإخراجها مما هى فيه.

يابنى.. إن ابنتى فى حاجة إلى معجزة إلهية.. فهى لا تعانى من مرض عضوى.. إنها ترفض الحياة وتنسحب منها برغبة حقيقية.. إنها تريد الموت.. وتسعى إليه فهل ترى أن بوسعنا علاجها.. أو إخراجها

مـن هـذه الحالة.. إلا برغبتهـا هى.. وأنت ترى بعينيـك أنها فقدت حماسها ورغبتها وارتباطها للحياة.

كبار الأطباء النفسيين الذى عُرِضت عليهم فشلوا فى الوصول بها إلى بر الأمان.. وعلاجها من حالة الاكتئاب الحاد التى تعانى منه!!

كل ما نصح به الأطباء اقتراحهم بالقيام بتلك الرحلة.. فربما رؤيتها لأماكن جديدة.. وناس جدد.. يساعدها على الخروج من هذا المأزق.

سأل أحمد وما هى الأسباب التى أدت إلى بها إلى تلك الحالة؟.. .

قـال العجوز.. إن لدى نفس الرغبة فى الإفضاء عن الهموم المتراكمة علـى صـدرى.. والتى أصبحت حملاً ثقيـلاً.. لم أعد أقوى على حمله بمفردى!!

منذ سنة جاءتنى ابنتى.. وهى تقفز بوجه متهلل من البشر والسعادة.. حتى شعرت بأنها تطير.. لا تقف على الأرض.. احتضنتنى بشدة حتى سمعت دقات قلبها تزغرد فى صدرها.

سألتها.. ما سر هذه السعادة؟.

قالـت لى.. أبـى إننى أحب.. وهو يريد أن يقابل حضرتك علشـان نتـزوج.. رددت بفرحـة أب ينتظر أن يرى ابنته فى كوشـة فرحها.. خير يا بنتى ومن هو صاحب الحظ السـعيد.. والذى سـيأخذ قرة عينى وجوهرتى؟.

إنه أغلى إنسان فى حياتى.. وضحكت بشقاوة ومرح.. قائلة.. ولكن بعدك.. يا حبيبى.

وكيف تعرفت إلى هذا الشاب؟.. ومن هو؟.

إنــه زميل لى بالجامعة.. شــاب فقير.. والده موظــف على قد حاله.. ولكنه عندى أفضل إنسان على وجه الأرض.. إنى أحبه يا أبى.

شعرت بأن هذا الشــاب متسلق.. يضع عينيه على ثروة ابنتى.. فهى الوحيدة لا أخ ولا أخت.. هى وريثتى الوحيدة!.

واســتطرد.. قررت أن أضعه موضع الاختبار لمعرفة هدفه الحقيقى من زواجه من ابنتى قبل إصدار أى حكم عليه.. ولكنه كان يجيد فن الخداع يمارســه بتلقائية وفطرة.. لم يبلع الطعم.. عندما أخبرته أننى لن أســاعده فى أى شــىء.. وإنه لن يحصــل على مليم واحد من ثروتــى.. وإذا أراد الزواج من ابنتى فعليه أن يكون على مستوى طلباتها ومستواها.

وتتوقــف الكلمات على لســانه.. وتطل الدموع مــن مقلتيه.. تعبر عن مدى ما يعانيه من أســى.. وحزن.. ثم يســتطرد قائــلاً.. بصوت متقطع النــبرات.. لم أكن أعلم أن قلب ابنتى متعلــق إلى هذا الحد بهذا النذل.. الجبــان! !.. الذى أراد أن يكيد لى.. فى.. أعز مخلوقة على قلبى.. فلذة كبدى.. ابنتىالوحيدة.

ماذا حدث؟ قال أحمد مستفسرا.

يوم الفرح ذلك اليوم الذى تملك العروس الدنيا بما فيها.. أسعد لحظات العمر لأى فتاة.. يوم العمر.. اختفى العريس.. سافر فجأة إلى بلد أوروبى.

يبحــث عن صيد ثمين.. امرأة ثريــة.. تعوضه الصيد الذى فر من بين يديه ! !

وكانت النتيجة.. وقعت ابنتى فريســة للمرض النفسى.. فقدت ثقتها بالنــاس.. كرهت الحياة.. وحتى الآن.. ومنذ ذلك التاريخ المشــئوم أنتظر معجزة.. تشفى ابنتى ! !

وينظـر الرجل العجوز إلى أحمد نظرة مليئـة بالأمل.. ثم يقول له.. أشـعر الآن.. بأن السـماء استجابت لتوسـلاتى.. وأرسلتك إلى فى هذا التوقيت الذى أحس فيه بدنو أجلى.

ربما ما زالت روحى متعلقة بالحياة لظروف ابنتى تلك.. فلمن أتركها وهى وحيـدة فى هذه الدنيـا.. الأقارب طمعى فـى ثروتى.. والخوف والرعب يملآن نفسى فزعًا على ابنتى.

انخرط الأب فى بكاء شـديد.. وانسـابت الدموع على خديه كسيل جارف.. تعالى صوته ينتحب على حظ ابنته العاثر! !

هـدَّأ أحمد مـن روعه.. وقال له.. إن الله أرسـل ابنتـك لى لتضمد هـى جراحـى.. فأنا أيضًا لى حالى.. فقد أحببـت وأعطيتها من روحى وعمرى.. ولكنها تركتنى بعد أن أخذت ما تريده دون أن تنظر وراءها.. بأى مشاعر رثاء لى.

إنى أحتاج ابنتك.. أكثر مما هى تحتاجنى.

واسـتطرد قائـلا.. إن الاحتيـاج لمن يسـتوعبنا.. يشـاركنا آلامنا وأفراحنا.. يشعر بنا فى لحظات الألم والسعادة.. البهجة والحزن.

هذا هو الحب الحقيقى.. وعندما نجده لا يجب أن نفرط فيه بسهولة.. وأنا أشعر باحتياج لابنتك كما لم أحتج لإنسان قط.. وسأهب لها ما تبقى من عمرى.. لأكون تحت أمرها ومعًا سنستعيد سعادتنا المفقودة.

احتضـن الأب أحمـد فى حنان جارف.. قائلاً له.. سـتكون ابنتى أمانة فى عنقك.. حافظ عليها.. وقاما معًا من مجلسهما فى اتجاهها إلى قاعة الغناء الشرقى.. حيث تجلس بثينة تستمع إلى أغانيها المفضلة.

البراميل

أقبـل الصيف بلياليه الرطبة.. وحرارته المرتفعة التى تخنق الأنفاس وتفتـت أعصـاب الناس وتثـير انفعالاتهم.. ولا يجدون مفـرًا من جوه الخانق إلا بالفرار إلى مياه البحر.. أينما وجدت.. يلقون بأجسـادهم فى جوفها.. يستردون انتعاش نفوسهم.. وتعم البهجة بأرواحهم.

فى إحدى ليالى الصيف الحارة.. ارتفع ترمومتر حرارتها إلى ذروته.. وكاد النـاس ينزعون جلودهم من شـدتها.. كان موضوع الجلسـة الذى يدور بين الأصدقاء الثلاثة بالنادى حول حرارة الجو والرطوبة الخانقة.. فقرروا على الفور السـفر إلى الإسكندرية عروس البحر المتوسط.. وخلال سـاعة واحدة كان كل منهما قد قام بتجهيز ما يحتاجه لسـفر قصير.. واجتمعوا أمام منزل أحدهم وصيحاتهم تتعالى.. مهللين.. وقد اجتاحتهم مشاعر فياضة بالمرح.. والسرور..

انطلق الأصدقاء فى طريقهم إلى طريق مصر الصحراوى بسيارة أحدهم فى اتجاههم إلى الإسـكندرية.. وهم يشـعرون بانطلاق هائل وإحسـاس كبير بالتخلص من المسئولية والهموم.

كانت الساعة تقترب من الرابعة صباحًا.. حين اقتربت سيارتهم من «الريسـت هاوس» استراحة فى منتصف طريق مصر الصحراوى.. توقفوا ليسـتريحوا قيلاً.. ويتناولوا إفطارهم.. فى ذلك المكان الذى يعج بالبشر من كل لون وشكل.. نساء جميلات.. فتيات كالورد فى نضرته وإشراقه.

التــف الأصدقاء الثلاثة حول إحدى الموائد.. فى مدخل «الريســت» حتى يتراءى لهم القادمون والذاهبون.. ويســتقبلون نسمة الصباح العليلة وهواءها النقى.

كانت ســعادتهم لا توصف.. وضحكاتهم وقفشــاتهم يتبادلونها فى مرح كبير.. وســرعان ما انتقلت عدوى المرح والسعادة إلى وجوه العاملين بالمكان فارتسمت البسمة على الوجوه.. وازداد الجميع نشاطًا وحيوية.

أحس الأصدقاء الثلاثة بروح وَثَّابة.. منطلقة.. فتملكهم شعور بقدرتهم على فعل المستحيل.. وغير المألوف.

تحركت عقارب الســاعة تقترب من الخامســة.. وبدأ الأصدقاء فى مسيرتهم من جديد فى رحلة الانطلاق والمرح والتجديد.

كانــت ســيارتهم تنهــب الطريق نهبــا.. حتى تراءت لهــم مدينة الإسكندرية.. وثبت بداخل كل منهم روح جديدة.. حملتها إليهم رائحة البحر.

خطــوات قليلة.. لا تتعدى عدد من الأمتــار.. وتناهى إلى أسماعهم صوت تلاطم الأمواج.. وهى تمرح مع بعضها.. تسرع الواحدة تلو الأخرى فى دلال.. فتحدث أصواتاً شجية.. تنعش النفوس.

انطلق الأصدقــاء الثلاثة إلى كابينتهم.. نزعوا ملابســهم على عجل ارتدوا لباس البحر.. أســرعوا ناحية الشــاطئ.. وصرخاتهم تعلو وتعلو أحدثــوا ضجيجا بعث روحا فى الشــاطئ الخــالى إلا من عدد قليل من المصطافين.. ألقوا بأنفســهم فى غمرة مياه البحر.. بزرقته الرقيقة كخد فتاة جميلة نضرة.. وظلوا يتسابقون بين أمواجه وانطلاقهم يفوق الحد.. كأن أرواحهم تخلصت من قيودها وروتينها.

.. وتوافـد المصطافون إلى الشـاطئ.. حتى أصبـح كخلية النحل.. وتداخلت ألوان الشماسى التى تظلل الجالسين على الشاطئ.. فأحدثت انسجاما. وهرمونية رائعة بين ألوانها المختلفة وفجأة.. توقفت الأعين.. واشرأبت الأعناق.. وسكنت حركة السابحين فى مياه البحر.

فقد انشـق الشـاطئ عن حورية من الجنة.. فتاة لم تر العين أجمل من بهائها.. جسد ممشوق.. متناسق.. بياض.. ناصع.. شعر يتطاير فى الهواء.. فتقع القلوب صرعى من روعة جمالها.

تلاقت أعـين الأصدقاء الثلاثة.. ولسـان حالهم يدور حول سـؤال واحـد.. أعـروس البحر هى التى ظهـرت أمامهم؟ أم من هـذه الفتنة المتحركة؟.

اقترب الأصدقاء الثلاثة من بعضهم.. وهم يجدفون بأجسادهم داخل مياه البحر.. قال أسامة لصديقيه أشرف ومنير.. لم أر مثل هذا الجمال فى حياتى.. سـبحان الله.. من المكـن أن يجمع مثل هذا الجمال فى جسد واحد.. إنه لم يترك شيئا منه لبقية نساء الأرض.

ظل الأصدقاء الثلاثة مشدوهين.. وعيونهم ترصد هذا الجسد النابض بلونـه الناصع الأبيـض.. وتلك الفتنة والأنوثـة الطاغية فى كل حركة ولمحـة.. سـارت أمامهم وهى ترتـدى مايوها برتقالى اللـون فكون مع جسدها الممشوق لوحة للفتنة والإثارة.. ثم ألقت بنفسها فى مياه البحر.. أحس السـابحون حولها وكأن مياه البحر وقد تحولت إلى قارورة عسـل نحل.. وإذا بهم يلتفون حولها.. يشـتهون ذلك الشـهد المتدفق مع كل تجديفة من يدها.. أو قدميها وعيونها تعبر عن استمتاعهم بهذا الجمال النادر.

أحس أسامة.. بقلبه يقفز من بين ضلوعه.. وأن حواسه جميعها اجتمعت وتوقفت مع تلك اللحظة التى رأى فيها تلك الفاتنة جميلة الشاطئ.. وقفزت إلى عقله فكرة مجنونة.. قرر على الفور تنفيذها.. أسرع على الفور يشق طريقه بين الأجساد الملتحمة حول فراشة الشاطئ حتى اقترب قليلاً.. وأصبح على بعد أمتار قليلة منها.

اندفع يضرب المياه بكلتا يديه فى قوة ليقترب منها.. ويلفت نظرها إليه بأى شكل.. وبأى صورة.. كان يسبح تارة على ظهره ومرة أخرى على وجهه.. ويغوص فى المياه ثم يظهر فى قفزات بهلوانية وكأنه لاعب سيرك.. ثم بدأ فى الدوران حولها.. المرة تلو الأخرى فى دائرة.

نظرت الفتاة إليه فى لا مبالاة.. ولسان حالها يقول.. من هذا الـ....؟.

اشتدت رغبة أسامة للفت نظر الجميلة التى كاد يجن بها.. اندفع يضرب المياه بكل عضلة فى جسده.. حتى يصل إلى «البراميل» تلك العلامة التى وضعت فى مكان محدد بمياه البحر حتى لا يتجاوز السابحون فيما بعدها من مياه.. فهى تمثل خطرًا عليهم.

ولكن أسامة فقد السيطرة على نفسه وأعصابه.. وكان مبرره بأن هذا الجمال يستحق فعل أى شىء من أجله.. أن يتجاوز هذه البراميل.. انطلق بعدها على ظهره فى حركات بهلوانية يسبح بقوة فى اتجاه البراميل.. وعيناه مازالت معلقتين بهذا الجسد الشهى.. وبالقوام الذى ينافس فينوس إلهة الجمال فى روعته وتناسقه.. والذى تجاوز إحساسه به أى علاقة تربط بالعقل والاتزان.

وفجأة.. شعر بدوار.. وبأن قنبلة انفجرت داخل رأسه وعندما أفاق من غيبوبته.. التف ينظر حوله يترقب إجابة لتساؤله فى عيون

المحيطين حوله.. قال.. أين أنا؟.. شعر بألم شديد فى رأسه.. تحسس رأسه فإذا بأربطة الشاش تلفها.. وعلى ملابسه بقايا دماء.. حاول صديقاه أن يخفيا ابتسامة قفزت إلى شفاههما.. ولكنهما لم يستطيعا التحكم فى ذلك.. فانطلقت ضحكاتهما عالية فى هسترية واضحة.

نظر أسامة إليهما متسائلاً.. ما الذى يضحككما إلى هذا الحد.. قال له منير.. وهو يترنح من شدة الضحك

ألا تتذكر صاحبة المايوه البرتقالى.. وأكمل قائلاً: إن ما حدث لك بسبب المايوه البكينى.. اصطدمت فى أحد البراميل.. فانشجت رأسك.

علت ابتسامة كبيرة على وجه أسامة غطت كل آلامه.. وعقب قائلاً.. أنتم كنتم واخدين بالكم؟.. ياعفاريت.

تعالت ضحكاتهم عالية.. وجاءت الممرضة مسرعة على أصواتهم المزعجة.. والضوضاء التى أحدثوها.

قالت لهم فى لهجة غاضبة.. المريض بتاعكم يقدر يخرج الآن من المستشفى.

❑❑❑

الأسانسير.. الكبير

اندفع عامل الأسانسير.. بزيه الرسمى صعودًا إلى الدور التاسع فى لهفة وتوتر.. كانت الساعة تقترب من الرابعة ظهرًا.. موعد انصراف المسئول الكبير بالمؤسسة الصحفية المعروفة وعودته إلى منزله فى ذلك التوقيت.

اصطف العاملون يمينًا وشمالاً.. أمام باب الأسانسير الكبير فى انتظار مقدمه الميمون.. وقام مسئولو الحراسة المخصصين له بإغلاق أزرار الجاكتات التى يرتدونها.. ليظهروا فى صورة محترمة إجلالاً لهذا المسئول! !

وظهرت علامات الفرح جلية واضحة على ملامح الجميع.. الكل يهرول ذهابا وإيابا.. وكأنها ليلة العيد.

ثوان مرت.. وبعدها.. دقائق.. حتى تراكمت فأصبحت نصف ساعة ولم يخرج المسئول العظيم من مكتبه بعد! !

تجمد الجميع فى أماكنهم.. وظلوا واقفين متأهبين لاستقبال المسئول الكبير حتى يخيل لمن ينظر إليهم أنه أمام لوحة مرسومة.. علقت على أحد الحوائط.. وليسوا بشرًا من لحم.. ودم! ! لايصدر من أى منهم حركة أو حتى لفتة؟! !

وظل الوضع كما هو.. لم يظهر المسئول الكبير.. ولم تحدث أية ضوضاء تنبئ عن قدومه أو حتى قرب حضوره؟! !

تســاءل الجميع فيما بينهم وبين أنفسهم.. هل حدث شيء؟.. ولكن لم يجرؤ أحد منهم على البوح أو الجهر بتساؤله هذا ! !

وما الجديد.. فقد اعتادوا على مثل هذا السلوك.. قال أحدهم لنفسه فى حنق وضيق.. هى عادته.. ولا هيشتريها.. ماذا بأيدينا أن نفعل؟.. نحن جميعًا عبد المأمور ! !

ساعة ونصف الساعة.. ثم خرج إليهم مدير مكتبه.. وابتسامة عريضة على شفتيه.. قال مهللاً.. فرحا.. البيه عنده ضيوف واستدار مرة أخرى متوجهًا إلى مكتبه.. واختفى بداخله.

لم يفهـم العاملـون.. ماذا يفعلون.. وكيف يتصرفـون.. ولم يتحرك أى منهم.. ظلوا فى أماكنهم كالأصنام المتحجرة ! !

وبالداخل.. كان يجلس المسئول الكبير على كرسيه الضخم بمكتبه.. وقهقهاتــه وضحكاته.. تتصاعد عاليًا.. وضيفه أمامه يتبادلان النكات.. والحكايات.

ســأله الضيف.. بشــىء من الفضول.. قائلاً.. لقد رأيت الأسانسـير والعاملـون واقفون فــى انتظارك.. أرجو ألا أكون قــد عطلتك كثيرًا فى العودة إلى منزلك؟.

رد عليــه المســئول الكبير بكبريــاء.. من يعلم قدر نفســه ! ! مفيش أى مشكلة.. وأضاف فى تعالٍ وصلف.. وهما وراهم إيه.. فلينتظرونى ! .

نظــر الضيف إليه مليًا.. وعلت ابتســامة على شــفتيه تلازمت مع سؤال لم يطرحه سريعًا على مضيفه.. وكأنه يفكر فى صيغة مناسبة.. ثم قال بشــكل ماكر.. واضح أنهم متعودون على انتظارك.. وأعقب كلماته

بضحكــة هادئة ليخفف بها وقع كلماته المقصــودة.. والمعنى الذى أراد أن يحققه من وراءها.. وأضاف قائلاً.. ولكن ألا يعوق تعطل الأسانســير هكذا مســيرة العمل.. فإنــى أعتقد أن هذا الأسانســير حمولته كبيرة.. وكثــير من العاملين بهذا المبنى الضخــم يحتاجونه فى الصعود والهبوط لتأدية عملهم.

لم يعلق المســئول الكبير لعدم اهتمامه.. ســادت لحظة صمت قطعها الضيف مرة أخرى قال موجهًا حديثه إلى مضيفه.. أنا أشعر بالفعل أنى عطلتك.. وعطلت كذلك العاملين بالمؤسسة بشكل غير مقصود.. ولهذا.. أرى مــن المناســب الآن أن أنســحب.. وأنهى تلك المقابلــة الجميلة.. لنســتكملها فى وقــت لاحق.. وهب من مكانه واقفًــا.. وبدأ فى جمع أشيائه المبعثرة على المنضدة التى أمامه.

صاح المســئول الكبير.. فى إصرار.. مســتحيل.. أنا لم أشبع منك.. فمنذ زمن لم نر بعضنا البعض.. وهذه فرصة.. وأعقب كلماته بضحكات.. وقهقهات عالية.. وكأنه لا يلوى على شىء.

أدرك الضيــف.. أن المعنــى الــذى أراد توصيله لم يصــل إلى عقل مضيفه.. وتاه معناه.. ولم يواصل مسيرته ! !.

حاول الضيف التأكيد على رغبته فى الانصراف.. فقال.. ستكون لنا لقــاءات ولقاءات..فقد عدت نهائيًا إلى مصر.. وســأظل بها ولهذا توقع رؤيتى كثيرا.

صاح المســئول الكبير قائــلاً: أبدًا.. لن تتحرك مــن مكانك.. حتى أعرف كل أخبارك.. لن أسمح لك بالانصراف ! !

تسلل التوتر والقلق إلى الضيف.. فهو يشعر بشدة بالأسف الشديد.. ففى رأيه.. أن ما يحدث غير حضارى بالمرة.. ولن يكون مشاركًا فى فعل كهذا.. قال لنفسه فى صمت.. أنا أمقت القهر الإنسانى.. وعدم احترام آدمية للبشر! ! فجميع الأديان والملل.. ترفض ذلك.. وتعتبره جريمة.

بدأت حبات العرق تبلل جبين الضيف.. رغم أن جهاز التكييف يرطب جو المكتب.. والجو حوله معتدل,, اعتدل فى جلسته حتى يستعيد قدرًا من التوازن النفسى.. فهو يشعر بأن نسمات الهواء لا تصل إلى رئتيه.. وبأنه لا يستطيع التنفس.

وقرر المحاولة مرة أخرى.. فقال لصديقه المسئول الكبير.. هل مازال العمال والأسانسير فى انتظارك حتى الآن برغم مرور ساعتين كاملتين.. أم أنهم انصرفوا إلى أعمالهم حتى يحين موعد انصرافك؟.

ضحك المسئول الكبير ضحكة معتدة واثقة وقال فى صلف مستفز.. لأ.. طبعا.. مازالوا ينتظروننى.. دى وظيفتهم! !

أحس الضيف بغثيان وقرف.. فقد أصابه رد المسئول الكبير فى مقتل.. وقفز من مقعده كأنه لدغه عقرب.. وقرر الفرار من المكان.

نظر إليه صديقه المسئول الكبير فى دهشة وتعجب.. وقال له. ماذا بك.. ألديك مواعيد أخرى أهم منى؟.. لا كده هأزعل منك قوى! !

فقال زاعمًا له.. بعد أن وجد أنها فرصة.. نعم تذكرت أن لدى مواعيد مهمة للغاية.. ولكننا سنتقابل.. قال ذلك كمن يريد التخلص من عبء ينوء به كتفيه.

رد المسئول الكبير.. فى الحالة دى.. لن أعطلك.. لقد سعدت كثيراً برؤيتك.. وأتمنى تكرار الزيارة.. باستمرار.

ابتسم الضيف مؤكدًا على كلام صديقه المسئول.. وهو يقول لنفسه.. يا خسارة.. لقد فقدت الآن صديقًا عزيزًا.. من هذا الذى أراه أمامى؟ من هذا الكائن الذى فقد إنسانيته؟.. إنه بقايا.

وفر هاربًا.. خارجًا يستنشق هواءً نقيًا.

❑❑❑

هل الموت.. حقا.. يحب الحياة؟

صاح الموت فى صوت كالعاصفة الهوجاء.. تقشعر له الأبدان.. لا.. لن أترك إنسانا قط على ظهر تلك الدنيا.. سوف أحيلها إلى أرض فراغ.. إنى أكره سلوك وتصرفات البشر.. لقد ضاقت نفسى.. بأخطائهم المروعة.. وضقت ذرعًا بالشر الذى يفوح من أنفاسهم.. وينثرونه فى أرجاء الدنيا.

وتوقف يلتقط أنفاسه المتلاحقة.. ثم استطرد كلماته الحادة الغاضبة.. فقال.. لن أستجيب لرجائك.. ولا لتوسلاتك! ! لن أخضع مرة تلو الأخرى لمشاعرى وضعفى أمامك.

ضحكت الحياة.. وهى تقترب منه فى ثوب يكشف عن مفاتنها وجمالها الأخاذ.. وأعقبتها بابتسامة خلابة مغرية.. اهتزت جوانح.. وقلب الموت.. فأحس وكأنه ريشة فى مهب الريح.. وأن ذلك الشعاع الذى يتسلل من عينها الرائقتين يكاد يقتلع قلبه من مكانه من شدة حبه لها.. كانت رائحة الزهور المختلفة الألوان تفوح فى المكان والتى قامت الحياة بتزيين شعرها المسترسل بها.. فبدت وكأنها واحة وجنة وارفة متحركة.

وقالت له.لماذا.. تأخذ منى هذا الموقف المتعنت.. وتظهر لى هذا الجفاء.. والقسوة.. وأنت تحبنى.. ألا تحب الحياة؟

ألقت بسؤالها إليه فى دلال ودلع.. وأكملت.. لماذا تستكثر على البشر.. أن يتعلقوا هم الآخرون بى؟!!

وأضافت برفق قائلة.. أنت أنانى.. وأنا أكره تلك الصفة.. أكره أن يختص كائن من كان بشىء دون غيره.. لماذا لا تكون الحياة ملكا للجميع.. يستمتعون بملذاتها ومتعها.

فلماذا تريد أنت فقط أن تختصنى بحبك!! إنك بهذا تتحول إلى كائن شبيه بهؤلاء البشر الذين تنتقد تصرفاتهم وسلوكهم.. وترفض أفعالهم؟.

قال لها الموت بصوت مستنكر.. أنا مستحيل أن أكون مثلهم.. إن حبى لك أيتها الحياة.. له هدف آخر هدف أسمى.. تحقيق التوازن فى كيانك وعلاقتك بهؤلاء البنى آدمين!.

وأكمل فى تأن وصبر.. قائلا لها.. إن حبى لك يتحدى ويتجاوز الحدود المتعارف عليها داخل عقول البشر.

وهذا الهدف فى حد ذاته يمثل واقعًا حقيقيًا لحبى للحياة وليس كرها لك.. وإنما ينصب غضبى على أفعال البشر.. وما ينتج عنه من شر مستطير!.

نظرت الحياة إلى الدنيا.. إلى البشر وهم يتحركون ذهابًا وإيابًا أمامها. إلى ضحكاتهم وقفزاتهم.. أشارت نحوهم وقد أطلت ملامح حزن دفين على وجهها فأظلته بسحابة قاتمة.. ثم قالت للموت.. ولكن بأفعالك.. تسبب لهؤلاء.. الألم والأوجاع.. فكم من قلوب من بين هؤلاء.. آدميتها.. وكم من دموع نزفت من عيونهم.. وكم من نفوس وأرواح قهرها الحزن وتركها جثثًا بلا حياة!!

لا تتعجلى فى أحكامك.. كما أنت دائمًا.. ولا تفسـرى أفعالى بتلك القسوة.. فقد يكون فى باطن القسوة تسكن الرحمة.. بهؤلاء البشر.. وكم من مظاهر الأشياء لا تعكس جوهرها.

ألم تــرى فى دنياك.. مرضى أضنتهم الأوجاع فأرادوا الموت اختيارًا وتمنــوه.. ألم تقابلى نفوسًــا حائرة لا نَجد دواء لها فى غابة البشــر.. إلا بالسكينة والراحة الأبدية.

وكم من أجساد بشرية أجهدها.. مواصلة تلك الحياة.. التى لا تجد مخرجًا منها.. ولا ضالتها التى تبحث عنها!.

وصمت الموت قليلاً عن مواصلة حديثه إلى الحياة.. ثم بدأ فى توجيه كلماته إليها مرة أخرى..فقال فى يقين بالغ.

أمــا أنا.. فبقــدرة الله التى وضعها فى نســيجى أحقق كل الأحلام المستحيلة.. والآمال المستعصية.. وأسعد بها أصحاب تلك الآمال.

واستطرد قد يصاب البعض بالضرر والحزن من جراء ذلك.. ويعجزون عن فهم واســتيعاب أن الموتى هم أســعد حظًا منهــم.. وأوفر نصيبًا من الســعادة.. وتنقلب ســحنة الموت.. وهو ينظر من أعلى مكان بالدنيا.. على البشــر أمامه.. بازدراء وشفقة.. ويتنهد فى عمق وثبات.. ثم يقول وهو يشــير إلى أســفل إلى الدنيا.. إن هذه الدنيا.. التى يتخيلونها رحبة واســعة.. تموج بالمتع والبهجة والســعادة ما هى إلا ثقب إبرة فى العالم الرحب الواســع فى الجانب الآخر.. إن الســعادة الحقيقية فى الهدوء وراحة البال والجســد.. إن دنياكم التى تتعلقون بها وتعيشــونها كأنها الحقيقة الأبدية ما هى إلا وهم وضلال!!

ويستدير الموت بوجهه إلى الحياة ناظرًا إليها بعينين ملأهما الزهد.. فـترد عليه قائلـة.. ولكن أليس هناك اختيار لبنى البشـر.. لماذا تأخذ القرار بمفردك.. لماذا تقرر مصائرهم.. ولا تترك مسـاحة للآخرين لمعرفة ما يريدون وما يشـتهون؟ فتلك ديكتاتورية.. واسـتبداد.. وأنا أرفضهما وأفضل عليهما الحوار المتبادل.

ولكـن كيف؟.. ومـن أبرز صفاتـك.. أنك وحدك من يملـك القرار النهائى.. ويجد لذته فى ذلك.. أنت من تختار الوقت المناسـب فتحرم بعضًا من بنى البشر من سعادتهم.. وربما من قبيل الصدفة تمنح الراحة للآخرين ! !

وتكمـل كلماتها فى نـبرات تئن من الإحسـاس بالوجع والألم: إن خوف البشـر منك.. يجعلنى لا أرى واحدا منهم يسـعد باستضافتك.. أو حتى أن تمر بجواره.. ألم تسأل نفسك ولو مرة واحدة.. كيف أصبحت مكروها إلى هذه الدرجة؟

ألا تحـب أن تشـعر وتحس ولـو للحظة واحدة أنـك محبوب بين البشر.. ألا تفتقد بشدة ذلك الإحساس؟

ألم يراودك ذلك الحلم المستحيل؟

ركزت الحياة عينيها على الموت بخبث ونظرت فيهما بعمق وثقة.. حتى تتعرف إلى ما يدور فى داخل نفسه ! !

حـاول المـوت الهروب من نظراتهـا الثاقبة.. ولكـن لا مفر.. فأين يذهب بحريتـه التى بعثتها إلى نفسـه بكلماتها الحـادة.. ومطاردتها لـه بألاعيبهـا.. وحيلها ومكرها.. حتى تصل بـه إلى الاعتراف بعجزه أحيانًا.. أمام نفسه وأمام البشر!

تماسك الموت بسرعة.. ولملم شتات نفسه.. فهو الماكر المتخفى.. يستطيع أن يأتى للبشر فى صورة مختلفة ويفاجئهم من حيث لا يدرون.. ولا يتوقعون.

ضحك الموت ضحكته السوداوية.. بصوت مرعب أثار فزع الحياة وقال لها بثقة واعتداد من يعلم إمكاناته.. وهدفه الأسمى.

أتعتقدين.. أننى أنتظر من هؤلاء البشر.. الحب.. أو الكراهية.. أنا لا آمل منهم شيئا.. فأقدارهم بيدى أنا.. وهل من يملك ينتظر المنح.. وهل من يأخذ ينتظر العطاء؟.

إن البشر هم.. من يخافون ويرتعدون لمجرد ذكر اسمى أمامهم ولو بالصدفة.. هم يخشونى.. ويعملون لى ألف حساب.. تعلقهم بك جعل منهم كائنات ضعيفة.. هشة!! لا تجد القوة على مواجهتى أو الصمود أمامى.

أنت.... وأشار إليها بشكل عنيف.. إنك سبب جوهرى فى خلق ذلك الضعف الإنسانى الكريه.. انظرى إلى نفسك فى مرآتك.. فأنت تفعلين المستحيل لإغرائهم وإغوائهم لتعلقيهم بجنتك الزائفة التى تبذلين الجهد المستحيل لتزيينها لهم.. أنت تشاركين البشر.. فى كراهيتهم لى.. تدعين وتزعمين أنك لا دور لك فى مأساتهم تلك.. وأيضًا لا تتركين لهم فرصة الاختيار مثلى تمامًا.

مأساة بشر. ماذا تعنى بقولك هذا؟.

قالت الحياة مرددة ذلك.. باستغراب ودهشة.

نعم إنى أعنى ما أقوله تمامًا.. رد عليها الموت بإصرار.. وأكمل قوله: هذا التعلق الغريب.. من البشر بك.. يعمى أبصارهم عن الحقيقة

الواضحة وضوح الشــمس حين تشرق على الأفق وتنشر ضوءها الذهبى.. فتتراءى كل الأشياء بوضوح كامل لكل العيون والأبصار.

إذن أنت كذلك تغرين وتبدلين فى مصائر البشــر.. تقودين خطواتهم إلى الضــلال.. إلى الفراغ وأحيانًا إلى العدم رغــم المنحة العظيمة والنعمة الجليلة التى حباهم بها الله.. تبثين الجهل فى عقولهم وتنثرين الفساد فى نفوسهم.

ولا يجدون فى نهاية مطافهم ســوى الضياع.. واللاشــىء.. صرخت الحياة.. تســتغيث من كلماتــه اللاذعة.. وقد شــعرت بظلم فادح يقع عليها.

إنــك ظالم.. جبار.. تكيل لى الاتهامــات.. الباطلة.. ولكنى لا أهتم بآرائك تلك فهى تنم عن غايتك المعروفة.. قطف أرواح البشر.. اختطاف الفرحة من قلوبهم.. رسم الأحزان والكآبة على الوجوه والملامح.

ويالها.. من هدف وغاية مؤسفة.. وكئيبة.. وأكملت فى حدة وغضب وعنف فى لهجة اتهام إلى الموت فقالت.. أيعكر صفو حياتك.. أن يعيش البشر حياتهم.. ينعمون فيها ويتمتعون بأيامهم؟

وأعــادت جملتها فــى تحد.. أهذا يكــدرك؟ لمــاذا لا تحب الفرح والســعادة.. لماذا تفضل اللون الأســود على كل الألوان الأخرى المبهجة للنفس والروح.

ألا تحب اللون الأبيض ذلك اللون الذى يعطى إحساسًا هائلا بالنشاط والحيوية والفرح والسرور.

والأحمر.. الذى يعطى مشــاعر فياضة وفورة وقوة وحيوية.. وغيرها وغيرها.. ألا تجد نفسك فى تلك الأحاسيس الجميلة.

أتجدها فقط بين السواد والظلام واليأس والحزن.. ابتسمت الحياة ابتسامة الظافر فقد شعرت بأنها نالت منه.. وأضافت.. من منا إذن الظالم.. ومن منا المظلوم؟

برغم الإحساس العدوانى والهجومى الذى شعر به الموت من الحياة.. نظر إليها فى عتاب.. وتساءل بدهشة.. قائلاً.. إن اتهامك لى يمثل القسوة بعينها وجبروت لا حدود له.. لماذا تهاجميننى هكذا؟ ولماذا تكرهيننى كل هذه الكراهية برغم ارتباطنا الوثيق.. فأنا وأنت.. سنظل.. إلى الأبد فى رباط لا ينفصم.. فأنا.. وأنت.. البداية.. والنهاية ! !

وما بينهما.. وليد لحظاتنا معًا.. السعادة والفرح حتى الحزن.. والألم إنها نتاجنا معًا.

نظر إليها فى حب.. وقال لها.. أتنكرين ذلك؟ لقد اشتركنا سويا فى ميلاد تلك اللحظات إلى الوجود فلماذا تحملينى وحدى هموم البشر.. ومأساتهم.. وأنت.. السبب الوحيد.. والأساسى فيها.. بينما أنا أمثل القدر الذى يختار من يشاء وقتما يشاء.. وأنا اليد المنفذة.. لقد أعطيت تلك القوة لغاية عليا.. وهدف أسمى.. كما قلت لك.. يتحقق التوازن.. ما بين الميلاد والموت.. ألا توجد الحياة.. إنى أترك لك مساحة كبيرة من الوقت.. تفعلين فيه ما تشائين مع البشر تنجحين فى إخضاعهم لألاعيبك.. إما يقاومونك ! أو يقعوا فريسة لإغرائك أو يفرون منك ! !

فهذا له جزاء.. وذلك له عقاب !

وأعقبت كلماته إليها بعد فترة صمت وجيزة.. فاستطرد قائلا.. حتى أنت برغم اعتراضى الكبير على سلوكك تجاه البشر فلك دور لا أقلل

من أهميته.. فأنت من تكشـفين عن جوهر الأشـياء.. عن ماهية النفس البشرية ومكنونها.. خيرها.. وشرها.

ابتسـمت الحياة ابتسـامة اعتراف بحق.. أوحت بها عن اقتناعها بما يقـال ويـتردد أمامها.. ونظـرت إليه بعينين يملأهمـا الخجل من الإهانات الكثيرة التى وجهتها إليه.

تلقى الموت ابتسامة الحياة.. فأشاعت السعادة داخل نفسه المضطربة بانفعالات مختلفة.

ثـم مالت عليه فى دلال.. وقالت له فى صوت أنثوى جميل.. أنت الآخر لا غنى للبشـر عنك.. فليس كل البشـر ينعمون بالحياة.. فكثير منهم لا يجدون سـعادتهم فى دنيـاى.. والبعض منهم يزهدها.. والأعم من بنى البشـر قد يجد سـعادة مؤقتة فيها.. ولكنـى لم أجد منهم من يشعر بالسعادة الكاملة.. يضلون بخطواتهم.. ولا يجدون بصيصًا من نور يهديهم إلى الطريق أو المخرج.

قال الموت.. فى صوت مسترسـل هادئ.. إذن اتفقنا أخيرًا على أننا لا نستطيع الفرار من ذلك الرباط الأبدى بيننا.

أوافقك الرأى.

تلاقت أيديهما فى مودة وحب.. وتسلل إليها شعورًا بالسلام والوفاق بينهما.

❑❑❑

تجربة واحدة.. تكفى

قالت فى صوت ثابت.. فيه نبرة الإصرار والتصميم.. ليذهب كل منا فى طريقه.. لقد قررت الابتعاد.

ظلت عيناه متعلقة بشفتيها.. لم يصدق قولها.. أطل فى تعبيرات وجهها يبحث عن إجابة.. هل صحيح ما تقوله؟.. أم إنها تحاول اختبار مشاعره وعواطفه ناحيتها؟

أصابها توتر وقلق بالغين.. ولم ينطق بكلمة واحدة!.. فقد ألجمته المفاجأة!!

نظرت منى إليه.. وقالت فى لهجة أكثر إصرارًا.. نعم لابد لنا من الافتراق!

قال حازم، فى فزع.. ماذا تقولين.. إنك لست جادة فيما سمعته منك الآن؟!!

بلى.. إننى أعنى كل حرف مما نطقت به على لسانى.. وهذا قرار نهائى.. لا رجعة فيه!!

مستحيل.. لماذا.. ما الذى حدث منى يجعلك تقررين ذلك بهذه الصورة المفاجئة؟!! إنك تعرفين مدى حبى لك.

فأنا لا أستطيع العيش بدونك!!

لم يحدث شىء جديد.. ولكنها النهاية التى لابد منها.. لن أستطيع أن أعانى وأقاسى آلام تجربة فاشلة مرة أخرى.. لم يعد لدى القدرة

لمواجهة الإحباطات والإحساس باليأس مرة ثانية ! !.. تجربة واحدة تكفى !

وتوقفت عن استرسالها فى الكلام.. لتسترد أنفاسها المتلاحقة.. ثم أكملت حديثها إليه قائلة.

لقد أخبرتك بمعاناتى.. وكم من الآلام التى لقيتها.. وتركت أثرًا لا يندمل وجروحا لا تشفى بروحى ونفسى.. جاهدت، حتى لملمت أشلائى المبعثرة.. وأجزائى المترامية.. أيام وشهور وسنوات أحسست فيها بالضياع وفقدان الأمل.. افتقادى للثقة فى نفسى والآخرين.. حتى أصبحت مرة أخرى على ما أنا عليه الآن.. أقل صلابة فى استيعاب الآلام وتحملها أو حتى مواجهتها. وصمتت قليلاً.. ثم قالت.. لماذا تسعى؟ لتكرار التجربة فى حياتى مرة ثانية؟

كان حازم يستمع لمنى.. وهو فى أشد حالات الدهشة والتعجب؟!.

قال لها فى ذهول.. أبعد كل هذا الحب؟!

قالت منى ومازلت أحبك.. كما أحببتك منذ رؤيتى لك.. بل حبى لك يزداد كل يوم أكثر مما سبقه من أيام.. ولكنه ليس حبًا غبيًا..مغمض العينين.

لقد أيقنت أن حبى لك يسير فى طريق متواز.. مع استيعابى لك بعقلى وفكرى.. ومنطقى.. وهذان الخطان لن يتقابلا أبدًا فى نقطة التقاء.. كل منهما يرفض الآخر تمامًا ويلفظه.

لقد أعطيت نفسى فرصتها كاملة.. لأوفق بين عقلى.. وقلبى ولكن كان ذلك ضربا من المستحيل!

ألم أكن الرجل المناسب لك؟

ليس بهذا المعنى المتطرف!.. وتكمل كلماتها قائلة.

ولكــن أفتقد معك ذلك التواصل بــين عقلينا.. وإن كانت روحانا قد تقابلتــا معًــا منذ أول لحظــة رأيتك فيها.. ولكنك لم تســتوعبنى قط.. لم أشعر بأنك واحة.. آمن فيها على نفسى.. من القلق والتوتر ومشاغبات الحياة!.. دائما كان الخوف يغلف إحساسى ناحيتك.. بحثت فيك عن الســند والحماية.. فلم أشعر بهما قط.. بل ازداد خوفى وأنا بجوارك.. إن خوفى من غدى دائمًا ما كان يؤرقنى.. فلم تستطع أن تبعث بداخلى بديلاً له.

نظر فى عينيها يحاول أن يستوضح أمرًا.

كان سحابة حزن عميق تغطيهما.. ولكن توقفت الكلمات على لسانها فى صدق وصراحة.. قالت.. لن ننكر أننى خرجت من تجربتى السابقة وأنا أحمل مرارتها.. التى مازال أثارها باقية.. ولكنها ليســت تراكمات داخل نفسى.. وإنما أعود إليها فأسترجع ما حدث فى الماضى.. لأتجاوز وأتجنب الوقوع مرة ثانية فى نفس أخطائى!

وهــذا ما يحــدث الآن.. أتعى ما أقول؟.. ســألته.. فلم ينطق بنت شــفة.. ولم يعلق بكلمة.. بل ظل صامتًا.. اســتطردت منى فى حديثها إلى حازم.. فقالت.. إن قرارى هذا سيسبب لى الألم.. ربما إلى وقت ما.. حتى أتعود على اختفائك وافتقادك أيضًا من محيط حياتى.

إلى هــذا الحد.. أصبحــت بعيدا عنك؟ قال حــازم وأكمل كلماته.. ألم اقترب من قلعتك المحصنة ضد المشاعر.. ضد الضعف الإنسانى؟

قالــت له.. ألا تعنــى كلماتك هذه.. أننى أيضًــا كنت بعيدة.. عن مضمار عقلك.. عن اســتيعابك لى.. وفهمك لمفرداتى؟.. فلماذا الغضب.. والثورة؟

أترفضين منى حق الاعتراض؟ إلى هذا الحد رفضك لى لا رجعة فيه؟ إنــى أحتاج الآن لفهمك لى أكثر من أى وقت مضى.. أحتاج لاحتوائك؟ قال لها.

كيــف أعطى. وأنت.. ترفضين عطائــى؟ إن حيرتى تقتلنى أين أنا منــك يا منى؟.. وأكمل كلماته فى حزن بالــغ.. فقال.. طوال الوقت.. ووجودك فى حياتى هو مصدر هنائى وسعادتى.. فماذا كنت أنا؟

وصمت قليلاً.. وتعبيرات وجهه تعبر عن أسف كبير وحزن شديد.. قال لها.. أيوجد شىء جديد فى حياتك.. لا يصلح معه تواجدى فيها؟.

قالت له فى يقين وثقة. لا يوجد رجل آخر.. يشغل فكرى وقلبى.. ســتظل نفس المســاحة داخل قلبى محجوزة لك إلى أن يشاء الله ولكن.. أرفض الضعف.. أن أتحول إلى كائن لاحول له ولا قوة.

وأكملــت.. أعــترض على أن تصبــح حياتى ريشــة يتقاذفها القدر بعنفوانه وقوته.. لقد ســئمت أداء هذا الدور.. أريد اســتعادة نفسى كما عهدتها دائمًــا قوية.. تملك إرادتها.. تســتعد لأيامها القادمة ولا أريد النظــر إلى الوراء والتحســر على ما فاتنــى.. أو ضياع فرصتى فى أيامى القادمة.

فلماذا ترفض أن تمد لى يد المساعدة؟!

أنت قاسية.. جبارة.. كيف لم أكتشف ذلك فيك؟!

لأنه ليس أنا من تصفها بتلك الصفات.. فأنا كما عرفتها وأحببتها.. ولكــن قرارى هذا لأنى أعرفك جيدًا.. قدراتــك.. حدودك.. ما تملك.. وما لا تملك.. أنا لا أرفضك.. ولكن أحاول أن أتجاوز ما قد يحدث لى.. أقــاوم الاصطدام بالألم مرة أخرى وربما الهروب من نتيجة حتمية.. قد نفر منها ولكن بخسائر! ! لماذا نسعى لمو اجهة المعاناة والآلام؟ ولماذا تصر على تحطيم ذكريات قــد تكون الملجأ لكلينا لحمايتنا فى لحظات الألم الحياتية؟

قــال لها فى حب شــديد.. أنت تطلبين المســتحيل.. لن أتركك.. لن أتــرك عمرى يهرب من بين يدى دون الدفاع عن أيامى.. لقد فهمت الآن ما كنت غافلاً عنه.

ألم يتراءى لك.. بدونك.... الخواء الذى ســيحتوينى، الفراغ الذى ســيبتلعنى.. سأتركك.. ولكن ليخرج الخوف الذى يعشش فى روحك.. وسأنتظر.. عودتنا لنظل معًا حتى آخر العمر.

❑❑❑

ليلة الزفاف

ضحكت أم الخير.. فى دلال.. وتعمدت أن تثبت فى ضحكتها كل أنوثتها وإحساسها بأنها امرأة.

تطلعت إلى وجه عباس.. بعينيها النجلاوين المكحلتين.. قائلة.. له ضرورى النهاردة تتعشى معانا.. أنا ورضوى عروستك.. سوف ننتظرك.. لا تتأخر علينا.. قال لها بلهجة ذات مغزى.. هو أنا أقدر أتأخر عليكم.. أنا عقلى وقلبى هنا.. فى الدوار ده.. أنا قتيل المحبة ! !

ابتسمت أم الخير.. وارتعشت أهدابها.. مع ضربات قلبها التى تدق بعنف وشدة ! !

استدار عباس فى اتجاه البيت.. فقامت أم الخير لتوصيله.. تباطأ عباس فى خطواته متعمدًا.. أن تلحق أم الخير به.. ويختليا ببعضهما.. وعندما أصبحا متجاورين.. أمسك يديها يتحسسها فى شغف ووله وقال لها.. وهو يضع قبلة على خدها الناعم الأملس.. فأطلقت ضحكة مستهترة.. فى أنوثة وإثارة.. وقالت له فى صوت هامس.. ناعم.. إياك ألا تحضر فى المساء.

قال لها.. وهل فى استطاعتى فعل ذلك ! !.. ضرورى سأحضر.

عادت أم الخير أدراجها إلى داخل الدار.. وقالت فى صوت عال.. لابنتها رضوى.. هيا بنا نستعد لإعداد طعام العشاء لخطيبك عباس.. عايزين نعمل له الأكلة التى يفضلها.

ردت رضـوى فـى لامبالاة.. لسـه الوقت طويل أمامنا.. فالسـاعة لا تتعـدى الثالثة ظهرًا.. أمامنا وقت لإعداد العشـاء.. مسـتعجلة على إيه؟!

لمـاذا لا تهتمين يـا ابنتى.. ده عريسـك لقطة.. كل بنـات القرية تحسدك عليه أمين الجمعية الزراعية فى قريتنا.. متعلم ومن البندر..

وأبوكى قبل سـفره إلى الخليج كانـت فرحته به لا يعادلها فرحة.. علشان كده عايزاكى تهتمين به.. وأكملت فى النصح.

وده فى غربة بعيـد عن أهله.. وضرورى يحصل على لقمة مطبوخة فى بيت عروسته!

طيـب.. إن شـاء الله.. قالتهـا رضوى.. وهى لا تنوى على شـىء كانت رضوى فى الخامسـة عشـرة من عمرها.. فتـاة مازالت بأفكارها البكـر على أعتاب الدنيا.. محتفظة بضفيريتها الطويلتين المنطلقتين مع إحساس مائل بالطفولة الكامنة بداخلها.. وكيانها الطفولى البرىء.. فكل اهتمامها وأحاديثها.. ما يدور فى دارهم.. هى وأمها.. الفرح والاستعداد له.

وخضعـت مثلها كمثل غيرها لتقاليد قريتهم فى ضواحى طنطا مثلها مثل بنات كل الأسر التى يتعجل أهلها تزويجها والخلاص من همها.. وستر عرضها.

ولأن رضـوى وحيدة والدتها فكانت فرحة والدها عم جابر بالعريس الذى تقدم إليها لا تعادلها فرحة.. ووافق على الفور على تلك الزيجة.. بلا شـرط.. أو قيد عن الظروف المادية المحيطـة بالعريس.. فهو أيضًا

لديـه كل المال.. الذى جمعه خلال السـنوات الطويلة فى سـفره وفى غربته لإسعاد ابنته الوحيدة ورؤية أحفاده قبل أن يموت.

ومـن أجل هذه الغاية.. ظل طوال عمره فى غربة السـفر.. لا ينزل لرؤية عائلته الصغيرة إلا فى الأعياد.. ولمدة خمسـة عشـر يومًا.. إجازة فقط.

والزوجـة أم الخير.. امرأة جميلة.. فى عز شـبابها.. زوَّجها أهلها وهـى مازالت طفلة.. وأصبحت الآن فى الثلاثين من عمرها وعندها ابنة شـابة تتـزوج.. وفلوس جابر زادت أم الخير جمـالا على جمال.. فهو لا يبخل عليها بشىء.. الأساور الذهبية تزين معصميها وصدرها العاجى يجملـه ويزيد من فتنتـه الكردان الذهبى البندقـى.. والدار.. فيها كل العـز والخير البوتجاز والثلاجة والتليفزيون والفيديو.. وهى تنعم بفلوس زوجها وثرائه.

أما هو فقد أصابته الشيخوخة والمرض مبكرًا.. فأصبح هيكل إنسان.. هزيـلاً.. جلـدا على عضم.. ولم يعد يصلح لشـىء.. ولكنه مصمم حتى آخـر نفس فى العمر.. أن ينكـب لجمع الفلوس.. حتى ولو كانت على حساب صحته وعافيته.

وأم الخير تسـتمتع بأمواله.. وتمتع نفسها فلا تحرمها من أى شىء ونفسـها مالت لخطيب ابنتها عباس.. طمعت فى شـبابه وروجولته.. فهـى محرومة مـن وجود رجل يحتـوى أنوثتها ورغباتهـا المكبوتة.. وشـبابها المتفجـر الطامح والجائـع إلى رجل يبثها الـدفء.. والأمان والحنان والعواطف.. وظهر عباس فى الوقت المناسـب.. شاب صغير.. فحولة ورجولة.. ورغباته فى قمتها.. لم تسـتهلك بعد.. ولم تستنزف..

رسمت الخطة.. وأوقعت الفريسة بين مخالبها.. لتمتص هذا الشاب.. وهذه الرجولة.. ولا يستطيع الفرار منها.. فهى تعطيه ابنتها والمال.. وهو عليه «الجنس» وسطوته.

أصبح تردد عباس على دار عم جابر وأم الخير مثار الأقاويل والشائعات بين أهالى العزبة.. ولكن أم الخير لا تعير اهتمامًا لكل هذا.. فقد عمى بصرها عن حقيقة واضحة أن الشك من أهل القرية تحول إلى يقين.. فالكل يعلم العلاقة المشينة المحرمة بين عباس وأم الخير إلا رضوى ابنتها.. فهى فى عالم آخر من البراءة والتلقائية فرحتها بدبلة الخطوبة التى تلمع فى أحد أصابعها تسعد قلبها.. وحلمها بارتداء فستان الزفاف.. أصبح على وشك التحقيق.. وهى سعيدة بخطيبها عباس.. بكلماته. بغزله لها.. وبإيماءاته الدائمة إليها عن جمالها.. تلك الأحاسيس التى تشعر بها لأول مرة.. بأنها امرأة جميلة.

وبوعيها الطفولى السطحى.. وبراءتها.. لم يتسلل إلى نفسها.. أى مشاعر عن فهمها لما يحدث بين أمها وخطيبها من علاقة مشينة.. كانت تشعر أن أمها تسعى جاهدة فى الاهتمام بخطيبها عباس.. من أجلها هى.. وإسعادها هى.. ولم يخطر على بالها قط.. الحقيقة البشعة التى تنمو تحت سقف البيت التى تعيش فيه.

مر الوقت سريعًا حتى أصبح اقتراب يوم زفاف رضوى وعباس.. تحولت الدار إلى خلية نحل.. كل شىء يقدم على قدم وساق.. وكانت خلالها أم الخير «أم العروسة» مشغولة فى إعداد كل ما يتعلق بالفرح والزفاف.. إعداد ملابس العروسة والجهاز من أثاث ومفروشات وتوضيب

كل شيء فهى بمفردها.. تقوم فى غياب زوجها بدور الأب والأم.. بين يديها كل مقاليد الأمور.

دبت الحركة فى البيت ليل.. نهار.. استعداد لفرح رضوى وأصبح عباس يتردد على البيت دائما.

أسرع الوقت فلم يبق سوى يوم واحد على يوم الزفاف.. وقد نال التعب من الجميع.. فقد بذل الجميع جهدًا كبيرًا.

وقد رأت أم الخير فى ذلك رأيًا.. كان الظلام قد حل.. والوقت تأخر.. قالت لعباس.. خليك النهاردة معنا.. مش معقول تذهب فى ساعة متأخرة هكذا.

وضحكت ضحكة ذات مغزى.. أعقبتها بقولها.. كلها يوم تظل معنا على طول.

وافق عباس على الدعوة على الفور.. ونظر إليها بعينين جائعتين كانتا تلتهمان جسدها.. وصدرها النافر! !

اختلس لحظة خروج رضوى من الغرفة.. ومد يده يتحسس جسد أم الخير فى لذة وشهوة.. فهما فى الحجرة بمفردهما.. ورضوى مشغولة بفستانها وزفافها.. تتحرك ذات اليمين واليسار لا تجد وقتاً للجلوس إلى خطيبها وهى تستعيض بأمها فى ذلك!

قال لها.. ونهمه يحتويه.. سأظل إلى جوارك.. إلى الأبد.. ولن نفترق أبداً.. أنا لا أستطيع العيش بدونك اشتعلت نيران الشهوة فى جسدها فاحتضنها بجسده فى وحشية يعتصره ويداه تحتوى نهديها.. ذابت أم الخير.. فى دفء ذلك الصدر القوى وارتمت تتمسح بذراعيه القويتين وعضلاته المفتولة.

فقدت إحساسـها بالمكان والزمان.. لم يبق سـوى روحها المشـتعلة بالشهوة والرغبة.

امتزج الجسـدان فى لهفة وشـوق ينهلان من اللذة المحرمة.. حتى أصبحا كيانًا واحدًا.. الشفاه تعتصران رحيق العشق.. والمتعة والجسدان ينهلان من رحيق وشهد اللذة.

لم يفيقا مـن غفوتهما إلا بصرخة تصدر قريباً منهما.. كانت رضوى تقـف أمامهما جاحظة العينين.. مشـدوهة.. كمن أصابها مس الجنون مـن هول المفاجأة.. رأت أمها عارية فى أحضان خطيبها كما ولدته أمه سقطت أمامها على الأرض.. جثة فاقدة للحياة.

❑❑❑

أمى.. تليفون

أمسـكت «سها» بسماعة تليفون بمكتبها.. تطلب رقم منزلها.. ردت الخادمة.. أيوه ياست.. أنا عطيات.

إيه أخبار الأولاد.. مش عايزين حاجة؟.. قالت لها.

لا.. يا ست هانم.. الأولاد بس تعبونى شوية.

تناولوا إفطارهم.. وشربوا اللبن.

لا.. ماحـدش فيهم أكل حاجة.. أصلهـم هربوا منى.. ومش عارفة مستخببين فين.

هما بيلعبوا معاكى استغماية.

هو ده جديد عليهم.

إيــه الحكاية.. هما كل يوم بيعملوا معاكــى كده.. يعنى لم يتناولوا طعامهم.

أيوه والنبى يا ست.. أشقياء خالص.

لا.. ده أنتى محتاجة إعادة نظر.. قالت ذلك فى انفعال شديد.

والنبى يا سـت أنا ماعملتش حاجة.. الأولاد مش عايزة تأكل طب أنا هاعمل لهم أيه! هأكلهم بالعافية!!

ازدادت انفعالات «سها» حتى وصلت إلى ذروتها.. وصاحت.. أنتى مجنونة.. يعنى تتركى الأولاد دون طعام طوال النهار.

طب أنا هاعمل أيه يا ست؟

كادت سها أن يصيبها الجنون من غباء عطيات.. وصرخت.. أنا لى كلام معاكى عندما أعود إلى المنزل.

ردت عليها عطيات بغباء لا تحسد عليه.. وهو أنا باشوفك.. ده أنا باروح بيتنا.. قبل ما أنتى تيجى.

كاد عقل «سها» أن يقفز من عظام جمجمتها من شدة الغيظ فألقت بسماعة التليفون فى وجه عطيات.

توقعت عطيات أن تعود الست «سها» إلى البيت على الفور.. فقامت بسرعة تحاول البحث عن هشام وهالة.. أخذت تدور حول نفسها كالمجنونة.. تدخل حجرة لتخرج منها إلى أخرى.. ولا تجد أثرًا يدل على مكانهما جن جنونها.. فالوقت يمر.. والست على وشك الوصول بين وقت وآخر.. دارت حول نفسها تفتش هنا وهناك.. حتى دواليب الملابس قامت بتفتيشها.. ربما يكون الأولاد اختفوا بين الهدوم وقفت عطيات وسط الشقة وشعرها منكوش والتعب نال منها منالاً من كثرة الحركة والبحث عنهما بلا طائل.

جلست القرفصاء على الأرض تدق بيديها على فخذيها فى حركات عصبية.. تكلم نفسها.. وتصيح.. أين أنت يا هشام.. أين أنت يا هالة؟ اخرجوا يا أولاد.. حرام عليكم كده.

بدأ الخوف يتسرب إلى نفسها والرعب يملأ قلبها فزعًا على الأطفال فهى تحبهما بشدة.. فقد ولدا على يديها وكبرا يومًا بعد يوم أمام عينيها.. هى تقضى وقتًا أكبر من أمهما معهما.. فالأم سيدة عاملة.. تأتى إلى المنزل متعبة.. تدخل مسرعة إلى حجرة نومها لتستريح ولا تراهما إلا فى المساء أى فى نهاية اليوم سويعات قليلة.

أصبحت عطيات فى حيرة قاتلة.. وأحست بوجود خطر على الأطفال ولكن ماذا تفعل.

وهى فى خضم ذلك.. ودق جرس الباب فجأة.. دقات متعاقبة متلاحقة كأنها صراخ.. أسرعت إليه لتفتحه وقلبها يقفز بين ضلوعها من الخوف والفزع.. كانت أوصالها ترتعش من قدوم الست «سها».

وبمجرد أن فتحت باب الشقة هبت عليها عاصفة هوجاء اجتاحت كل البيت.. فقلبته رأسا على عقب.

لم تفهم عطيات الكثير من الألفاظ والسباب التى وجهتها لها الست «سها».. وقفت مفتوحة الفم مشدوهة.. فهى لا تجد أى مبرر للدفاع عن نفسها.. فالأطفال دائمًا ما يفعلون معها تلك المقالب والألاعيب.

وبدأ الليل يسدل أستاره على الدنيا.. والأولاد لم يظهروا بعد.. اندفعت «سها» كالثور الهائج فى كل مكان بالشقة.. وهى تصرخ.. فزعة.. أين أنتم يا أولادى.. حرام عليكم.. ماما هتموت من الخوف عليكم.. ردوا على.. ولكن لا مجيب.

بحثت هى وعطيات فى كل مكان.. إلا مكانًا واحدًا.. اندفعت الفكرة بسرعة داخل عقل «سها» فأسرعت إلى المطبخ.

كان الباب مغلقا بإحكام من الداخل.. صرخت «سها» الأولاد أغلقوا على أنفسهم من الداخل.. يا نهار أسود.. افتح يا هشام افتحى يا هالة ! ! .

كاد قلب «سها» أن يتوقف من هول ما تخيلته فى تلك اللحظات.. وبأن مكروهًا أصاب طفليها.

حاولت كل واحدة فيهما فتح الباب.. بلا جدوى.. أسـرعت «سها» إلى رمضـان البواب.. كانت تقفز السـلالم قفـزًا.. وصيحاتها تعلو وهى تنادى عليه.. حتى تجمع الجيران على صرخاتها.

خـرج البواب مـن حجرته.. والفزع يملأ عينيه.. ماذا بك يا سـت سها.. ماذا حدث؟.

الأولاد.. الأولاد.. اندفع بملابسه الداخلية معها فى اتجاه شقتها.. أشـارت له على المطبخ.. تمكن بقبضته القوية من كسـر باب المطبخ.. والجيران ملتفين من حوله.

وقف الجميع مشـدوهين.. أمامهم.. هالة وهشام ممدين على أرضية المطبخ بجوار أنبوبة البوتاجاز.. فاقدى الوعى.

تعالت الصرخات.. والصيحات.. واختلطت الكلمات.

اندفع أحد الأطبـاء من جيرانهم.. ليرى إن كان الطفلان مازلا على قيد الحياة أم لا.

كانت لحظات ثقيلة كأنها الدهر.. اختفت الأصوات داخل الحناجر.. وتوقفت القلوب فزعًا ورعبًا.. وانطلقت الألسنة بالدعاء لإنقاذ الطفلين.

أكـد الطبيب أن نبضهما ضعيف.. وبسـرعة نقلهما إلى المستشـفى لإنقاذهما.

وبسـرعة البرق.. سمع الحاضرون صوت سيارة الإسعاف.. وتم نقل الطفلين فى حالة إعياء كامل.

برلمان.. الحريم

اجتمعت كل النسـاء من سـاكنات العمارة داخل شـقة مدام «رقية» فهـى الوحيـدة القادرة على التواجـد بصفة دائمة طـوال الوقت.. فلا عمل لها سـوى كونها زوجة وربة منزل.. وهى تمثل مطار الاسـتقبال لصديقاتها وجاراتها بالعمارة التى يسكنونها جميعًا.. فى أى وقت وفى أى ساعة!!

فالسـت «رقية» تستمع لمشكلة «سهير» وتشـارك فى أنات منيرة.. وتنتحب مع مصيبة هدى.

والجميـع يعتبرونهـا الأم.. والأخـت.. والصديقـة.. فهى ملجأ.. ووطن.. وصدر حنون يتسع لهن جميعا.. فكانت أشبه بصندوق البريد.. تتلقى الشكاوى وتقدم المساعدة والحل.

كـم من مشـاكل تم حلها على يديها.. وكم مـن زيجات تمت أيضًا بمعرفتها.. وعلاقاتها الواسـعة المشعبة بسيدات بل ورجال المجتمع.. وصفوتهم.

وكـم من حالات طلاق كانت هى السـبب الرئيسـى فـى حدوثها باقتراحاتهـا.. والتـى يرضـخ لها الجميع ويسـتجيبون لهـا بلا قيد أو شـرط.. فهى أشبه برئيس للبرلمان.. والنواب يستجيبون ويسترشدون بتنبيهاتها.. وتوجيهاتها.. ولا يسـتطيع أحد مراجعتها فى كلمة سواء كان رجلاً.. أم امرأة.

ووراء باب الست رقية أسرار وحكايات.. لا يصدقها عقل.. وكأن بداخل هذا المكان فيلمًا سينمائيًا مستمر عرضه.. بلا توقف.. نسجت تلك الحكايات.. من تصميم الواقع.. وكل حكاية لها بداية ونهاية.. وجميعها تتجمع أطرافها عند الست رقية.

فهى مقنعة.. لماحة.. ذكاؤها لا تحسد عليه يساعدها على فهم الشخصيات المحيطة بها ومداخل كل شخصية.. تتعامل معها.

ففلانة.. يسهل إقناعها بالخزعبلات والسحر والدجل والشعوذة والتخيلات.. وعلانة.. أكثر عقلانية.. استجابتها لوضع الخطط الجهنمية ووضع النقاط على الحروف.. أكبر.

وجاذبية الست (رقية) لا تقاوم تنبع من إنصاتها الدائم لمشاكل الآخرين ومشاركتهم فيها بقلبها وحواسها.. ومشاعرها لحلها.. مهما كانت عمق أو تفاهة المشكلة أو الموضوع.

والناس فى أزماتهم لا يحتاجون سوى المشاركة من أى صديق لمشكلتهم أو مصيبتهم.. يفضفضون عما بداخلهم.. فتخرج شحنات الغضب والألم.. وتعود المياه إلى مجاريها.. وتصبح الحياة بعدها «وردية» وتتحول نفوسهم إلى ثوب أبيض.. خالٍ من البقع والشوائب.

كانت الست رقية تعى هذا تماما.. وتستفيد منه.. فى جمع أكبر عدد من الأصدقاء والصديقات حولها.. فهى تؤمن بالمثل القائل «رب ضارة نافعة».

واستطاعت بذكائها الباهر تكوين شبكة لتحقيق المصالح.. على أعلى مستوى.. وهى مركز أطرافها المترامية هنا وهناك.. ورجال أعمال وسيدات أعمال.. أولاد ذوات.. زوجات وزراء.. فهى تلبس طاقية سين من الناس لصاد منهم.. والمصلحة واحدة.

وحكايتهـا مع الصديقـات والأصدقـاء.. أحيانًا تكـون أغرب من الخيال.. وحينًا آخر.. مأسـاوية وكذلك بعضها كوميدية.. من يسـتمع لتفاصيلها يصاب بهيستيرية الضحك المتواصل.

وحكاية السـت نازك جارة الست رقية فى العمارة ولكنها فى الدور الثالـث فيها.. بـدأت تفاصيلها.. بصرخات متلاحقـة.. عندما رفعت السـت «رقية» سماعة التليفون بمنزلها.. فصدمت مما تسـمعه وأصابها الهلع والذعر.. والفزع.. ولكنها حاولت الاستفسـار من الطرف الآخر.. من هى من بين صديقاتها.. فالصوت عال.. ومنفعل ولم تستطع أن تميز من هى فيهن.

صاحـت بصـوت متهدج.. خائـف.. من معى على الخـط.. ولكن لا مجيب.. وفجأة توقفت الصرخات.. ظلت رقية تتلصص السمع ولكن لا مجيـب.. كادت أن تجـن.. فالصـوت اختفى تمامًـا.. كأن سماعة التليفون سقطت من يد المتكلم وكأنه أصيب بشىء كريه.

واضطـرت إلى وضع السـماعة.. بعـد أن أصابتها حالـة عصبية.. شـديدة.. وتسـاؤلات ملحة تضغط على أعصابها وعقلهـا.. تكاد تفتك بهما.

ظلت على هذه الحالة لدقائق.. كانت أصعب وأقسى عليها من دهر كامل.. ثم دق التليفون.. أسرعت تلتقط السماعة.. ألو.. صاحت بانفعال وتوتر.. من المتكلم.

جاءها صوت: أنا راوية يا ست رقية.

راوية مين؟.

شغالة الست نازك.

وأكملت وهى تبكى.الست سقطت على الأرض بلا حراك أرجوك.. انزلى لنا يا ست رقية.. أنا مش عارفة أتصرف.. البيه مش موجود بالمنزل الآن.

حالاً.. أنا نازلة حالاً.. وألقت بعدها سماعة التليفون.. وارتدت ملابسها على عجل.. وفى ثوان. كانت تقف أمام باب الأسانسير..الدور الثالث عشر حيث تقيم.

اندفعت رقية داخل شقة جارتها وصديقتها نازك.

كانت نازك ملقاة على الأرض بلا حراك.. فاقدة النطق غائبة عن الوعى.. اتصلت رقية على الفور بأقرب طبيب لإسعافها.

انصرف الطبيب بعد أن قام بحقنها.. أفاقت بعدها من غيبوبتها.. ولكن كان منظرها مثيراً للشفقة والرثاء.. ثيابها ممزقة.. وشعرها منكوش.. وعيناها متورمتان من كثرة البكاء.. وصوتها مبحوح لا يستطيع أن يخرج من حنجرتها.

مدت رقية يديها تمسح بهما حبات العرق المتراص على جبين نازك.. وهى تقول لها برقة وحنان.. حمد الله على السلامة.. ماذا بك.. يا حبيبتى؟.. ما الذى يحدث لك حتى تفعلى ذلك بروحك.. إنتى اتجننتى؟.. ثم احتضنتها فى حنان وأمومة.. فانخرطت الأخرى فى بكاء مر.. قالت لها رقية وهى تربت عليها.. اهدئى يا نازك.. إذا كان فيه مشكلة نستطيع أن نحلها.. لكن لازم تهدى.. حتى أفهم منك.. ماذا حدث.

نادت رقية على راوية الشغالة لإحضار كوب ليمون لستها نازك حتى تروق دماؤها من الغضب والانفعال.

وبعد قليل بدأت نازك تستجيب لكلمات رقية.. فاستعادت توازنها وهدوئها.

ها.. أقدر دلوقتى أسمع منك.. إيه الحكاية؟

قالت رقية لنازك تلك الكلمات.. وهى تمسك بيديها.. فى حب وحنان.. إيه الموضوع بالضبط؟.

موضوع.. دى مصيبة.. وكارثة.. وقعت على دماغى.. وبدأت نبرات صوتها تختلط بحدة وانفعال مرة أخرى.. قالت .. البيه جوزى رئيس مجلس الإدارة على علاقة بامرأة أخرى.. تصورى.. بيعرف امرأة على أنا.. نازك هانم.

بعد السنوات دى كلها.. والعشرة.. والعمر الطويل بيننا ومساعداتى له..وفلوسى اللى عملته.. نسى نفسه.. افتكر إنه هيصبح بيه على أنا كمان.

بعد أن أصبح رئيس مجلس إدراة عايز يتجوز على أنا.. بعدما علمته كيف يتعامل مع المستويات.. وعملت له علاقات.. ونجحته فى أعماله.

وأكملت فى غيظ وضيق.. النذل.. الجبان.

بيعرف عليا أنا واحدة ثانية.

طيب إنتى عرفتى الحكاية دى إزاى؟.

السكرتيرة بتاعته.. بتنقل لى كل شىء.. كل أخباره.. أنا مشغلاها لحسابى.

يعنى عارفة مين هى الست دى؟

أبدًا.. كل اللى عرفته السكرتيرة.. إن اسم هذه المرأة سماح.. وأنها

تتعامل مع شركة زوجى ولكن معه هو.. بشكل مباشر.. ولا تتردد على مقر شركته بشكل دائم.. ولكن بين فترة.. وأخرى.

بسيطة.. هو ده اللى مزعلك بالشكل ده؟.

وأكملت قائلة لصديقتها نازك.. والله سأعرف لك كل حاجة عن هذه المرأة.. ومش بس كده. سوف أبعدها عن طريق زوجك تمامًا.

وأضافت فى ثقة واقتدار.. المهم أن الزواج لم يقع بعد بينهما.. وإلا تبقى المصيبة مصيبتين؟.

صحيح يا رقية.. دى تبقى مصيبة سوداء.. لو ده حصل.. المهم يا رقية إزاى هنوصل لسماح دى؟.

اهدئى.. يا حبيبتى.. قالت رقية وكأنها تعدها.. وتؤكد على وعدها.. منذ متى أقول كلمة ولا أنفذها.. أو لا أنفذ أى وعد أعد به!

حقيقى هتاخدى لى بثأرى!

هتشوفى يا حبيبتى.. أولا هاعرفلك أصلها وفصلها وحكايتها ورواياتها.. وسوف نجد بعد ذلك الطريقة المناسبة.. التى نستطيع بها إبعادها عن سكة زوجك المعدول!!

هاتجنن يا رقية.. أنا سليلة الحسب والنسب يتركنى زوجى علشان واحدة من إياهم.. ما هو رجع لأصله.. وظهر على حقيقته.

ولا تشغلى بالك يا روحى.. ولا تفورى دمك.. كل مشكلة.. ولها عند رقية حل!!

أرجوكى.. ما تعرفيش لو استطعت إخراجى من هذا المأزق أنا هاعملك ايه.. وهاكفئك إزاى.

عيب يا حبيبتى.. هو احنا فيه بيننا واجب.. دى المسألة كلها حبى لك.. ومرضاتك.. مصلحتك عندى أهم شىء فى الوجود.

هتعملى إيه يا رقية.. أفهم ماذا تنوين فعله بالضبط؟.

كل الحكاية.. عن طريق سكرتيرة زوجك هنعرف عنوان المحروسة «سماح» المذكورة.. ونبدأ فى مراقبتها.. وتتابع خطواتها.. أين تذهب.. مع من تقضى أوقاتها.. هل هى متزوجة.. مطلقة أم ما هو وضعها بالضبط؟

هو احنا ورانا حاجة يا صديقتى العزيزة.. سماح هتبقى لعبتنا الأيام القادمة.. وهنوصل من مراقبتنا لها إلى أى مدى وصلت علاقتها بزوجك.. وبناء عليه نتدخل.. فى الوقت المناسب لمنع حدوث الكارثة!!.

لم تضيع الصديقتان وقتهما هباء فبدأتا على الفور.. أمسكت نازك بسماعة التليفون تطلب سكرتيرة زوجها «هدى».

آلو.. هدى!!

أهلا يا مدام نازك.. أهلاً وسهلاً.. إيه أخبار سيادتك؟.

أخبارى وأخبار زوجى كلها عندك.. وأكملت حديثها فى اضطراب واضح.

إيه أخبار الست سماح اللى طلعت لنا فى البخت اليومين دول؟.

بتطلب البيه من وقت لآخر.. يافندم!!

طيب أنا عايزاكى تعرفى لى عنونها.. ساكنة فين وتتصنتى على مكالمتها مع البيه زوجى.. مفهوم!!.

حاضر يا فندم.. سيادتك تأمرينى.

من النهاردة.. من دلوقتى.

أنا تحت أمرك.

ومن اليوم التالى.. بدأ الفريق النسائى المكون من الصديقتين نازك ورقية فى تنفيذ خطتهما للعثور على سماح المجهولة ! !

وكانت أول خطواتهما مراقبة هدى السكرتيرة لمكالمات إبراهيم بك وعميلته مدام سماح.

وقامت الصديقتان معًا بتحليل وتفصيص كل كلمة دارت بينهما.. ماذا تعنى تلك.. والمقصود من هذه.. حتى يحين الوقت واللحظة الحاسمة لتوجيه الضربة الأخيرة.. أو الضربة القاضية كما يطلقان عليها.

وبعد عدة أيام.. فوجئت نازك هانم بتليفون من هدى سكرتيرة زوجها. قالت لها سماح هانم اتصلت بالبيه.. اليوم.

هانم فى عينيك.. صرخت نازك فى وجهها قائلة.

أصبحت هانم.. كل من هب ودب يطلق عليه هانم.

واستطردت.. ها.. قالوا إيه فى التليفون. احكى لى بالتفصيل.

كانا يتحدثان معًا عن مناقصة.. من الواضح إن المدام هتساعد البيه فى إرساء العطاء عليه فى هذه المناقصة.. يعنى المسألة.. مصلحة.

عمومًا.. تقدرى تأخذى بالك.. ممكن تقدرى تاخدى بالك.. ممكن أن تكون هذه المكالمة «تمويه».. فلا تنخدعى بسهولة.. وركزى فى كلامهما جيدًا.. وانقليه لى بالحرف أوكى.. يا هدى؟

أوكى.. يا مدام.. مع السلامة.

وبمجرد أن أنهت نازك.. مكالمتها مع هدى.. طلبت صديقتها رقية على الفور على التليفون.

آلو.. رقية.

أيوه.. يا نازك.. خير.. حصل حاجة جديدة!!.

رددت على مسامعها.. ما أخبرتها به السكرتيرة هدى.. فقالت لها رقية.

اصعدى إلى فى الحال.. حتى نقرر موقفنا وبناء عليه نبدأ الهجوم.

كانت الصديقتان تتحدثان كأنهما على وشك الدخول فى معركة حربية.. وأنهما يعدان العدة والسلاح لاقتحام موقع المعركة.

وقامتا معًا بوضع بداية الخطة والتى اتفقتا فيها على مراقبة المدعوة «سماح».

يومان.. واستطاعت نازك ورقية الحصول على عنوان سماح من سكرتيرة إبراهيم بك زوج الست نازك.

وفى السابعة صباح اليوم التالى.. كانت الصديقتان تقفان أمام منزلها داخل السيارة وقامتا معًا باداء الواجب وإعطاء بواب العمارة مبلغا من المال.. حتى يشير لهما على مدام سماح أثناء خروجها من الباب.. فيتعرفا عليها.

دقت الساعة التاسعة تمامًا.. أطلت على عتبة العمارة فى طريقها للخروج.. شابة هيفاء القوام.. شقراء البشرة شعرها الأصفر يتطاير مسترسلاً فى الهواء من رقته ونعومته.. يحيط بوجهها الذى يشبه القمر فى استدارته!!

نظرت إليها نازك.. فى غيظ شديد.. وظهرت علامات القرف والامتعاض على ملامحها.

ثم قالت فى اشمئزاز وتعال.. وهى تطل من نافذة سيارتها المرسيدس آخر موديل.

هى دى؟

ابتسـمت رقية بخبث ابتسامة جانبية.. فهى على يقين من أن التى ظهرت الآن.. لا يختلف اثنان على جمالها الباهر.. وشياكتها ورقتها.

ثـم وجهـت حديثهـا إلى صديقتها نـازك والتى تجلـس بجوراها بالسيارة.. محاولة تهدئتها.. مش قوى.. لكن الرجالة كلهم كده.. يبقى معاهم سـت زى القمر.. وينظر ويبصبص لأخرى.. صنف عايز النسـف من على وجه الأرض!!

ثم أعقبتها بضحكة لها مغزى.. وأكملت حديثها قائلة.. ولكن نعمل إيه.. لا نستطيع الاستغناء عنهم.

مرت الهيفاء الجميلة أمام السـيارة ثم قفزت إلى سيارتها بى ام آخر موديل وانطلقت فى طريقها.. لاتنوى على سـوء.. وأمسـكت بالتليفون المحمول فى إحدى يديها تجرى مكالماتها.

أسرعت نازك ورقية خلف سيارتها من شارع لآخر.. ومن منطقة إلى ثانيـة.. وأعينهما تكادان تقفزان خـارج مقلتيهما.. حتى لا تفلت هذه المرأة من مراقبتهما.

وتوجهت الهيفاء الرشـيقة بسيارتها فى اتجاه حى مصر الجديدة.. وأمامٍ عمارة كبيرة أوقفت سـيارتها.. أسـرع عامـل الجراج يرحب بها مهللاً وهو يقول لها.. حمد لله على السـلامة يا هانم.. ثم ظهر شخصٌ آخر.. تناول حقيبة سـوداء خاصة بالأوراق من بين يديها.. فى احترام

واجلال كبيرين.. ثم توجها إلى داخل العمارة وهو يفسح لها الطريق فى احترام بالغ.

وبمجرد اختفاء سماح داخل العمارة قفزت الصديقتان من سيارتهما وبقوة المال استطاعتا شراء ذمة بواب العمارة ومعرفة كل شيء عن مدام سماح ففى العقار دوران هما مقر شركتها للاستيراد والتصدير وهى أرملة منذ سنتين بعد وفاة زوجها التى ورثت عنه هذه الشركة وغيرها من الممتلكات والأراضى.

وقع قلب نازك فى قدميها بعد أن علمت أن هذه الجميلة غنية أيضًا بل وأرملة!!

إذن الطريق مفتوح أمام غريمتها للاستيلاء ببساطة على زوجها.. والانتصار عليها فى الموقعة انتصارًا فادحًا.

عادت الصديقتان وهما يجران أذيال الخيبة ولكن لم تبح أى منهما للأخرى بما يدور فى عقلها.

فرقية كانت ترى الموضوع بشكل مختلف بعد أن شاهدت البديهيات المطروحة أمامها.. والتى استطاعت أن تقدرها تمامًا.

كانت تقول لنفسها فى حديث صامت.. إذا كانت نازك استطاعت أن توقع زوجها فى فخ الزواج بالمال.. فهناك من يفوقها فى هذا المجال.. شباب وجمال وجاه وعز.. فالمعركة خاسرة بالنسبة لنازك.. كان عقلها يذهب ويجيء فى حيرة كبيرة يجول ويصول وتساؤلات ملحة تضغط على عقلها.. ما هى الخطة المناسبة لمواجهة مثل هذا المأزق؟ التى وقعت فيه صديقتها نازك؟.

أما نازك فكان فكرها شــارد فى مكان آخر.. والغيظ والحنق يفتكان بها.. فهى تعرف إمكاناتها المحدودة شــكلاً وموضوعًا.. فهى تعمل فى نفسها كل البدع لتظهر على قدر من الجمال المقبول!!.

نظرت الصديقتان لبعضهما.. وكأنما استطاعت كل منهما قراءة ما يدور بعقل الأخرى.. وفجأة اندفعتا فى ضحكات هيستيرية متواصلة.. حتى كادت عجلة القيادة أن تختل فى يد نازك وتتسبب فى حدوث كارثة.. فقامت بإيقاف الســيارة على جانب الطريق حتى تتوقف نوبة الضحك التى أصابتها.

اقترحت رقية على نازك التوجه إلى النادى لينالا قسـطًا من الراحة ويتناولا طعام الغداء.. ويتشــاورا معًا فى هدوء بعد المجهود الذى بذلتاه فى اللف وراء السنيورة الشقراء فى الشوارع.

ظلــت نازك صامتة خــلال تناولهما طعام الغــداء.. ولم تنطق بكلمة واحدة.

حاولــت رقية إخراجها من هذا الصمــت القاتل.. لتفرغ ما بداخلها من شحنة الانفعالات والغضب.. ولكن محاولاتها باءت بالفشل فقررت الدخول بشكل مباشر فى الموضوع فكلتاهما تعلم أنه الأساس فيما يشغل تفكيرهما الآن.

قالــت رقية لصديقتها.. نازك.. أنــا فكرت فى خطة جهنمية لطرد هذه المرأة من حياة زوجك.. وإلى الأبد!!

أشرقت ملامح نازك ببوادر الأمل.. وتوقفت عن مضغ الطعام بطريقة آلية. وأنصتت لصديقاتها بترقب.. وقالت بسرعة.. فكرت فى إيه؟.

سوف نقوم بنشر شائعة فى النادى.. وبين الموظفين فى شركة زوجك وشـركة سماح.. وعند الكوافير الذى يصفف شـعرها.. أن هناك علاقة عاطفية تربط بين زوجك وبينها وباعتبارها سـيدة أعمال.. كل رأسمالها سمعتها فى السوق.. وعلاقتها بعملائها ستتأثر من جراء ذلك.. فستقوم على الفور بالانسـحاب من حياة زوجك تفاديًا للفضائح التى ستقع على رأسـها.. اتسـعت عينا نازك.. وأطل بريق يؤكد على اقتناعها بالفكرة وموافقتها عليها.

أيام.. وانتشـرت الاشـاعة كالنار فى الهشيم وأصبحت سيرة سماح علـى كل لسـان.. وترامـى إلى سمعها بأن زوجة إبراهيـم بك وراء كل شىء.. فقررت مقاطعة التعامل مع شركته.

كانت فرحة نازك لتلك النتيجة لا تعادلها فرحة.. بعد أن انتصرت على غريمتها انتصارًا هائلاً.

وأقامـت حفلة كبـيرة بمنزلها احتفالاً بهذا الانتصـار مع صديقتها الحميمة «رقية».. توافدت الصديقات والأصدقاء.. إلى الحفل.

كانت السـعادة تعم المـكان.. والضحكات تتناثر هنـا وهناك.. وإذا بزوجها إبراهيم بك يقف فى وسط الناس مكشرًا عن أنيابه كأسد هائج.

سألته بدهشة.. ماذا بك؟.

مش عارفة إيه اللى حصل.. بتحتفلى بخراب بيتى وشـركتى.. بعد أن تسـببت برعونتك وغيرتك العمياء فى ضياع أكبر مناقصة لشركتى.. إنتى لا تصلحى أن تكونى زوجة.. إن سماح ليس بينى وبينها أى علاقة سوى العمل.. مصالح فقط وكانت هى اليد القادرة على إرساء عطاء تلك المناقصة على شركتى.

خلاص.. راحت فى ستين داهية.. زعلان علشانها ولا إيه؟.

أنا زعلان على ثقتى فيك كزوجة طوال سنوات طويلة قضيناها معًا.. وأكمل فى إصرار وتصميم.

ولهذا فأنت طالق.. طالق.. طالق بالثلاثة.

❑❑❑

انسحاب

دق جـــرس التليفون.. آلو.. مين.. أمل.. مـــش معقول.. متى عدت من السفر؟

حـــالاً.. وقبل فعل أى شـــىء طلبتك لأسمع صوتـــك.. فأنا أفتقدك للغاية.. وحشتينى يا مها.

وأنتى أكتر. أريد رؤيتك حالاً.

ولكنى متعبة جداً.. وبمجرد استيقاظى من النوم.. ستجديننى أمامك بشحمى.. ولحمى.

كانـــت الفرحة تطل من صوت مها.. وعلى الفور بدأت فى ترتيباتها لاســـتقبال صديقة عمرها وتوأم روحها أمـــل.. توجهت إلى المطبخ لعمل الأكلة المفضلة لها.. «الفتة بالموزة» والفرحة تملأ قلبها.. حتى أولادها.. انتقلت إليهم تلك المشاعر بعد معرفة خبر وصول صديقة أمهم الوحيدة.. من السفر.. وشريكتها أيام وسنوات الطفولة والشباب.

مر الوقت ســـريعًا.. فلم تشعر مها.. وهى تغدو ذهابًا وإيابًا.. تحضر هذا.. وتستعد لذاك.. لاستقبال الضيفة العزيزة.

وفى المســـاء.. كان الجميـــع يترقبون قدومهـــا.. وفجأة.. دق جرس الباب.. تجمع الكل أمام الباب.. وقفت أمامهم.. قالت بطريقة مسرحية مرحة.. أنا هنا.

اســـتقبلتها الأحضان.. والقبلات.. والدفء.. أسرع الأولاد يدورون حولها وهم يصيحون طنط أمل جاءت.

أخذت أمل تبحث.. أين أمكم؟.

أندفعت داخل المنزل.. تصيح.. يا مها.. يا مها.. أين أنت؟.

خرجـت إليها مـن المطبخ مندفعة فى شـوق كبير قائلـة.. أمل.. حبيبتى.. وحشتينى.. وحشتنى.

أصبحت الصديقتان أمام بعضهما وجهًا لوجه.

كانت مشاعر حب دافئة.. عميقة تلفهما.. وتحيط بهما وفى لحظات تحول المكان إلى صخب وهرج. ومرج.. وكأن فرحًا مقامًا به.

جلسـت أمل بالقرب من مها.. وأيديهما ممسكة ببعضهما.. كأنهما يخشيان الفرار من بعضهما والابتعاد مرة أخرى.

تفحصـت أمـل مها ونظرت فى وجهها.. فتسـلل خـوف وألم إلى نفسها.. تساءلت مع نفسها.. ماذا حدث لها.. أهذه مها الفتاة الشابة الجميلة.. أين ذهبت إشـراقتها وحيويتها.. ما الـذى أراه أمامى بقايا امرأة.. لقد نضب شـبابها.. ما سر هذا التحول الغريب.. إننى لم أبتعد عنها سوى سـنتين فقط.. وهما ليستا بالكثير.. أمن الممكن أن تفعل بنا الأيام هذا.. أم أن مها هى من تنسحب من الحياة رافضة إياها؟

أطل السـؤال على لسـان أمل. فلم تتراجع أو تتردد فى طرحه على صديقتها.. قالت.. ماذا فعلت بنفسـك؟ لماذا تسحقين نفسك هكذا.. إن شبابك مازال فى عزه.. ولكنك تسمحين له بالتسلل من كيانك!

ردت مها فى استسلام.. الأولاد والمسئولية.

ليس هناك بجديد.. فالإنسان خلق فى هذه الحياة ليتحمل مسئولية مـا.. ويترك أثـرًا فيها.. ولكـن لا يعنى ذلك أن نتركها تسـتهلكنا.. وتتغلب علينا.. ولا نقاومها.

قالت لها.. لماذا اخترت الانسحاب والاستسلام لتبعاتك ومسئوليتك؟.. وأردفت قائلة.. لم أعرفك يومًا ضعيفة متهالكة متهالكة هكذا كما أراك الآن. فقد غالبت الأيام وتفوقت عليها فى أكثر من موقع.. ونفسك.. وكيانك هى أهم المواقع التى يجب أن تدافعى عنها باستماتة!!

يجب أن تشعرى بقيمتك بذاتك فى هذا الخضم.. واجهى.. لا تنزلقى إلى متاهات الهموم.. حتى لا تبتلعك.. واسعى لتستعيدى حماسك.. المفقود.

أطل بريق أخاذ فى عينى مها.. وهى تستمع إلى كلمات صديقتها ومرآتها.. أمل.. فأضاء وجهها بنور أظهر روحها.. واسترجع لمحة من جمالها وبدل ملامحها.. فأصبحت أكثر شبابًا وحيوية.. قالت بإصرار.. عندك حق.. كم كنت أحتاج كلماتك.. تلك!!.

❑❑❑

المؤلفــــة

حاصلة على ليسانس الآداب قسم فلسفة.

تمهيدى ماجستير كلية إعلام جامعة القاهرة.

دراسات حرة فى النقد والدراما.

التحقت بجريدة الأخبار كصحفية منذ عام ١٩٨٧.

عضو اتحاد كتاب لمدة ٢٠ عامًا.

لها مؤلفات عديدة أهمها:

- ضمائر تائهة (رواية).
- لا تعبث بى أيها الرجل (مجموعة قصصية).
- كتاب (الخلع).
- كتاب (الزواج العرفى).
- كتاب (المرأة المصرية إلى أين).

كتاب (مليونيرات الناصرية) سياسى.

- كتاب (فى بيتنا قاتل تحت التمرين).
- وغيرها من المؤلفات الاجتماعية والسياسية.

وفى هــذا الكتاب تتناول المؤلفة فى مجموعتهــا القصصية برلمان الحريم حــالات منفصلة ومختلفة مــن القضايا الاجتماعية الحياتيــة الملحة وبعض المشــاكل الاجتماعية والظواهر الســلبية فى المجتمع المصرى تعالجها المؤلفة فى أسلوب نقدى ساخر فى محاولة لطرح الحلول بشكل غير مباشر.

الفهـــرس

اهداء.. ٣

المقدمة.. ٤

ملمس الحريـــر.............................. ٦

وكانت الأولى................................. ١١

البراميـــل.................................... ٢٣

الاسانسير الكبير........................... ٢٨

هل الموت حقا يحب الحياة.................... ٣٣

تجربة واحدة تكفى.......................... ٤١

ليلة الزفاف.................................. ٤٦

أمى تليفون.................................. ٥٢

برلمان الحريم................................ ٥٦

انسحاب...................................... ٧٠